مراجعات

ملحـق شهـري تصـدره وزارة الأوقـاف والشـؤون الدينيـة (العدد رقم: 89)

صفر 1444هـ - سبتمبر 2022م

الصفحـة الأولـى...

هـلال الحجـري

أشرتُ في عدد يناير الماضي من ملحق «مراجعات» إلى افتتان الشاعر الرومانسي الإنجليزي الشهير ويليام وردزورث (1770-1850) بكتاب «ألف ليلة وليلة» أو «الليالي العربية» كما يُعرف في الآداب الأوروبية بشكل عام.

وفي الحقيقة، لم يكن تأثير "الليالي" مقتصرا على وردزورث، وإنما وقع معظم الأدباء الأوروبيين والأمريكيين في دائرة سِحْرِ هذا العمل الأدبي الخالد. ويبدو ذلك جليا إما من اعترافاتهم أو من موضوعات أعمالهم؛ فالشاعر الإنجليزي الشهير صمويل تايلو كولريدج (1772-1834)، أشار في إحدى رسائله الشخصية إلى قراءته لـ«الليالي" في طفولته. تقول الناقدة ميشيل ليفي، في دراسة لها عن كوليريدج وشيلي: «في خريف عام 1797، بينما كان صمويل تايلور كوليردج يكتب «أغنية الملّاح القديم»، وجد نفسه يفكر في تأثير قراءة طفولته، متذكرًا كيف أنه، منذ سن الثالثة "كان يقرأ باستمرار"، وفي سن السادسة أصبح مهووسًا بقصص المجهول، من روبنسون كروزو إلى أُنس الليالي العربية. ومع ذلك، لم تكن قراءة الطفولة هذه بدون آثارها السيئة؛ فنتيجة لقراءة الليالي العربية يقول: "أصبحتُ مسكونًا بالأشباح، كلما كنتُ في الظلام مما سبب لي القلقَ والخوفَ، حتى إن أبي عندما اكتشف التأثير الذي أحدثته هذه الكتب صادرها وأحرقها".

كما تشتهر قصائد روبرت ساوذي (1774-1843) بتوثيقها الحافل للتفاصيل الشرقية؛ فقد استغرق وقتًا طويلا وجُهْدا استثنائيا لكتابة ملحمتيه: «ثَعْلبة المُدمِّر» (1801) و«لعنة كيهامة» (1810)، اللتين تكشفان مقدار ما قرأه من المصادر الشرقية عبر الملاحظات الكثيرة المصاحبة لهذين العملين. ومن بين المصادر التي استخدمها ساوذي كتب الرحلات، وترجمات القرآن، والليالي العربية. يقول ساوذي في مقدمته لملحمة ثعلبة: «لقد وطّنتُ نفسي، قبل أربع سنوات، على قراءة القصص المُحمّدية وخلال ذلك الوقت تمكنتُ من رسم خطة العمل وتجميع الوثائق المعينة». ويؤكد ساوذي أن الوزن الشعري الذي اتخذه لملحمة ثعلبة شبيه بفن الأرابيسك أو «الزخرفة التي تُوشّى به الحكاياتُ العربية».

أما الشاعر والروائي الإنجليزي المعاصر والتر ديلامير (1873-1956)، والذي ترجمت له قصيدته الشهيرة «بلاد العرب»، فإنه لم يكتف بقراءة "الليالي" العربية وتمثّلها، وإنما كتب عنها مقالا نقديًا؛ استعرض فيه ترجمة ريتشارد برتن وإدوارد لين وآخرين لليالي وأثر ذلك في المخيال القصصي الحديث.

بهذه الاعترافات التي نقلتُها للشعراء الذين تتبعتُ صدى العرب وثقافتهم في أشعارهم التي ترجمتُ طائفةً منها في هذا الملحق، أستطيع تأكيد ما ذكره أستاذ الأدب المقارن الفرنسي بول هازارد: "عندما بدأتْ شهرزاد في سرد قصصها الليلية؛ لتكشف عن الثروة الهائلة لمخيلة خصيبةٍ بكل أحلام بلاد العرب وسوريا والشام العظيم؛ عندما بدأتْ تروي عادات شعوب الشرق، وتقاليدَهم، وطقوسَهم الدينية، وتفاصيلَ حياتهم المبهرة والملونة؛ عندما بينتْ شهرزاد كيف يمكن أن يكون الإنسان مفتونا ومأخوذا ليس بالغموض واللامعقول فحسب وإنما بسحر الألوان وإغراء الحكايات الخرافية، حينها كانت أوروبا تنصتُ مذهولة".

hilalalhajri@hotmail.com

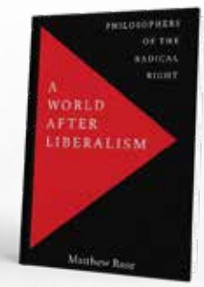

عالم لما بعد الليبرالية: فلاسفة اليمين الجذري

ماثيو روز

القدس: تاريخ مدينة

فرانكو كارديني

الصحة الاجتماعية

نيكولا دوفو ونياديح فيزينا

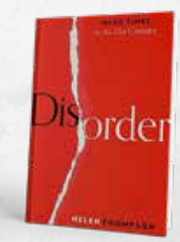

الاضطراب: الأحداث الصعبة في القرن الحادي والعشرين

هيلين طومسون

السياج كـ«توازن» للقوى

فاليري سافتشوك

القراءات المعاصرة لفينومينولوجيا الروح لهيغل

عمل جماعي

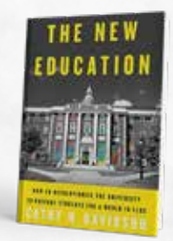

التعليم الجديد، كيف تُحدث ثورة في الجامعة لإعداد الطلاب لعالم في حالة تغير مستمر...!

كاثي إن ديفيدسون

أولى دروس وتحدّيات جائحة كورونا لبلدان منطقة التكامل لأمريكا الوسطى (سيكا)

ألبيرتو إنريكيث وكارلوس سانتشيس

قصة القرآن: تاريخه ومكانته في حياة المسلمين

إنجريد ماتسون

المستشارون: توجيه الاقتصاد البريطاني في أوقات الأزمات

هاورد ديفيز

لماذا نحارب: جذور الحرب وطرق السلام

كريستوفر بلاتمان

إصـدارات عـالميـة جـديـدة

الصفحـة الأخيـرة

عالم لما بعد الليبرالية: فلاسفة اليمين الجذري

ماثيو روز

محمد الشيخ *

ثمة قناعة راسخة لدى العديد من عشاق الفلسفة، لا سيما منها الفلسفة الحديثة والمعاصرة، تقضي بأن الفلاسفة يصطفُّون، في ما يخص انتماءاتهم الأيديولوجية، في اليسار السياسي. وقد كرّس التزام «المثقفين» الفرنسيين والألمان والإيطاليين، على وجه الخصوص، هذه الصورة عن الفلاسفة من حيث إنهم يساريون بالقوة.

ومما طم الوادي على القرى أن فلسفة الاختلاف الفرنسية (فوكو، دولوز، دريدا...)، وفلسفة مدرسة فرانكفورت الألمانية (هوركهايمر، أدورنو، هابرماس...)، فضلا عن فلسفة اليسار الإيطالية المتطرفة (جرامشي، نيجري، بوبيو....)، اصطفت دوما إلى جانب اليسار الأوروبي. لكن هذا الكتاب يرسم لنا صورة مخالفة عن اصطفافات بعض فلاسفة الغرب وولائهم الجاحد لليبرالية التائق إلى تجاوزها.

يفتتح هذا الكتاب بالتساؤل: «تُرى، ما الذي يأتي بعد الليبرالية؟» إذ لَئِنْ كنا نعلم ما الذي أتى قبل الليبرالية. وهو عند المؤلف: القمع والجهل والعنف والشعوذة. أي إنْ كنا نعلم ما يسميه المؤلف «أسطورة أصولنا السياسية» التي تخبرنا عن كيف بنيت المجتمعات الليبرالية الحديثة على قيمتي «الحرية» و«المساواة» -وهما «أقدس الأقداس»- وذلك بدلًا من أن تُبنى على صدف الميلاد وجائبات الزمان ومحن السلطات، وكنا نحتفي بتحررنا من السلطة الإكراهية، وتنامي وعينا باستقلالنا، فإن سلطان هذه الأسطورة على أنفسنا لم يمنعنا أبدا من مساءلتها والتشكيك في أمرها. وضمن هذه المساءلة يقع سؤال الافتتاح الذي عُدَّ لزمن طويل السؤال غير المفكَّر فيه، بله السؤال الممتنع. أما طرحه اليوم، فدال على إمكان افتراض تغيير مجرى التاريخ، وفيه مساءلة عميقة لما اعتقدنا أنه طبيعة الكائنات البشرية ومستقبلها المنظور.

وهكذا، يعمد مؤلف الكتاب إلى صب الماء البارد على قناعاتنا الكثيرة بإعلانه التالي: «ها نحن أَوْلَاءَ لحظة ما بعد الليبرالية بعد عقود من هيمنتها المطلقة على الأذهان الغربية». والحال أن التهديد الأجسم ما بات قادما من الصين وروسيا وأوروبا الوسطى، التي ما فتئ زعماؤها يعلنون «نهاية الحقبة الليبرالية»، وإنما صار يأتي من داخل الديمقراطيات الغربية نفسها؛ حيث أن «نقادا نبهاء»، بل وحتى «شعبويين حانقين»، أمسوا يبدون شكوكا حول معايير الليبرالية الأشد رسوخا. وإذا كان نقد الليبرالية أمرا قديما؛ إذ لقرون ساءلها الفلاسفة من مختلف المناحي، وعابوا عليها سعيها إلى العمل على استشراء التفاوت بين الناس واستفحال استغلال بعضهم لبعض، وإفسادها للثقافة وللدين، متشككين، على وجه الخصوص، في تصورها للكائنات البشرية بحسبانها أفرادا حاملة لحقوق تتحدد بمقدرتها على الاختيار؛ فإن نقاد زمننا هذا باينوا نقاد الأمس من حيث أنهم دعوا إلى مراجعة جذرية لمبادئ الليبرالية الأساس؛ شأن مبدأ المساواة بين البشر، ومبدأ حقوق الأقليات، ومبدأ التسامح الديني، ومبدأ التعدد الثقافي. وها قد باتت الأفكار التي لطالما اعتُبرت في الماضي محرمة يعاد الاعتبار إليها اليوم، وها هم المؤلفون الذين نُبذوا ذات مرة ما عادوا يُلعنون، وها النقاشات التي أغلقت بالمرة يعاد فتحها. وبالجملة، ها نحن أَوْلَاءَ قوميين وشعبويين وهوياتيين ومستقبليين ومحافظين دينيين يتنافسون في تحديد النزعة المحافظة المستحدثة وفق طرائق ما عُهدت من قبل.

على أن هؤلاء -اليمينيين الجدد- ما كانوا على ملة واحدة، وإنما باتوا يشكلون طيفا واسعا: ممن يحيون الوثنية القديمة إلى من يدافعوا عن البابوية الوسيطة. تجمع بينهم نظريات هيمنة النخبة وحكم الجذريين، ويرسمون خرائطية للمستقبل خارج السيناريوهات المعهودة، بل وخارج حياة المدن الكبرى، ويتخيلون سياسات صناعية جديدة ومهنا حرة مستأنفة. وها قد أمست تجمع نقاشاتهم بين ملحدين وكاثوليكيين، وعنصريين وأهل أقليات، وأطر وسطى ومزارعين. وما يسجله المؤلف هنا هو أن ترويجهم لأفكارهم لا يتم عبر القنوات الرسمية؛ إذ لهم إعلامهم ولليبرالية إعلامها. وأعلامهم ما كانوا من ذوي المسارات الأكاديمية، وكتاباتهم لا توجد في المكتبات الجامعية، لا ولا يصوَّرون في الأدب والسينما والمسرح والفن، وإنما هم أشبه شيء يكون بأشباح معنوية: مدونون على شبكة الأنترنت، وكتاب افتتاحيات في مجلات هامشية. ومرة أخرى ما يفرق بينهم كثير: يختلفون حول العرق والدين والاقتصاد والإستراتيجية السياسية، بعضهم يركز على الهجرة والتغير الديمغرافي، وبعضهم على الركود الاقتصادي والسلطان الديني. لكن كلهم يتفق على ما يلي: لقد باتت أشكال جديدة من الحياة السياسية أمرا ممكنا. وذاك جوهر «ثورة في التفكير محافظة» ينشدونها جميعا. موضوعهم الجوهري: التضامن القومي والهوية الثقافية، لا الحرية الفردية، وتركيزهم على «المصالح العمومية»، لا على التوافقات السياسية والمؤسسات الدستورية.

على أن المؤلف، وبالنظر إلى المشهد المتشتت والمتشظي لموجة ما بعد الليبرالية هذه، يقف عند من يمكن أن نعتبرهم «الآباء المؤسسين» لهذا التيار -الجيل السابق لا الجيل اللاحق، جيل شبنجلر ويونجر وشتراوس وإيفولا... لا جيل مفموري اليوم من أمثال كورتيس يارفين وبيتر ثيل وأنجلو كودفيلا وأدريان فرمول وستيف سايلر...-أولئك الذين حطموا «معتقل الليبرالية الذهني» وأبانوا عن «حقائق» كانت قد أخفيت أو ألغيت. ويقدم المؤلف مدخلا عاما لأشد أفكارهم السياسية إثارة للجدل في القرن العشرين؛ أي أفكار من يسميهم باسم «اليمين الجذري» الذي استبق «نهاية الليبرالية» مشكِّلا «فجر العصر ما بعد الليبرالي». إذ نظرياتهم في الاختلافات الثقافية والتفاوت بين البشر والسلطة المرجعية الدينية والسياسيات العرقية الحيوية قد تم النظر إليها، بعامة، على أنها دعوات إلى كراهية الأجانب، بل وحتى إلى العنف، لكن المؤلف يرى أنه يمكن النظر إليها أيضا على أنها محاولة لتصور عالم بعد قرون من الهيمنة الليبرالية.

وفي البدء، كان ما حدث في ألمانيا بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، وبزوغ موجة «المحافظين الجدد»، تحت مسمى «الثورة المحافظة» التي كان أهم روادها كارل شميث وإرنست يونجر وأرثير مولر وأوسفالد شبينجلر... وعلى خلاف ما قد يمال إلى اعتقاده، فإن معظمهم رفض النظام النازي، وبعضهم أدى الثمن باهظا على ذلك. وغالبهم رأى إمكان شق طريق بين الليبرالية الأنجلو-أمريكية والشيوعية السوفيتية. وقد عابوا على جمهورية فايمار فوضاها السياسية وانحطاطها الثقافي. واحتجوا بأن الحياة البشرية قد اجتُثت اجتثاثا من لدن الإيديولوجيات السياسية التي تسعى إلى لا شيء أعلى من مجرد الحل السلمي للنزاع وإلى بسط حياة الدعة والاستهلاك. وعندهم أن الليبرالية أفرغت السياسة من معناها، وما دعواها إلى «العدالة» و«المساواة» إلا دليل ينهض على إفراغها روح الحياة البشرية -القائمة على الوفاء والعظمة- من صورتها. وهم ينطلقون من مقدمة ليبرالية: إذا كان العقل عاجزا عن درك الحقائق الكونية والقيم الخلقية المطلقة، فإن السلطة المرجعية والأسطورة، وليس النقاش أو التوافق، مهمان في السياسة. ولَئِنْ كان السعي إلى السلطة هو ما يحرك طبيعة الإنسان بالأساس، فإن عالما مسالما -على نحو ذاك الذي تنشده الليبرالية- ما كان هو العالم الذي يناسب الإنسان. إنما الإنسان بالماهية كائن غير عقلاني، يحتاج إلى جرعة فائقة من المخاطرة والمغامرة، كما ينقاد إلى نخبة يمكن أن تلهم الجماهير السعي إلى قيم تتجاوز قيمة «السعادة الفردية» التي تنشدها الليبرالية. وقد نظروا إلى البشر لا بنظرة الليبرالية، وإنما بكونهم كائنات قَبَلية بالطبيعة،

وليست كائنات مستقلة بالاختيار، واعتبروا الأفراد متفاوتين بالسليقة وليسوا أكفاء أسوياء، وأدركوا أن السياسة إنما شأنها أن تنهض على السلطة لا على الوفاق، وأن المجتمعات كيانات منغلقة لا بنيانات منفتحة، وأن التاريخ دائري وليس خطيا. أكثر من هذا، الذي عندهم أن الليبرالية، من حيث هي نظرة أخلاقية للحياة، إنما تجسد الشر عينه؛ إذ تشجع على اللذوية والأنانية والرداءة، وتهدم أسس النظام الاجتماعي، وتساوي بين البربرية والحضارة إذ تشجع على التسوية بين أساليب العيش، ولا تميز بين عيش نفيس وعيش خسيس، ولا بين قيم عظمة وقيم وضاعة، ولا تهتم إلا بسؤال: «من أنا؟» وتهمل سؤال: «من نحن؟» خالقة بذلك أزمة هوية وانتماء، متناسية أن الهوية تركة ورابطة تهب المعنى للحياة، وأن في نكران الهوية المأساة كل المأساة.

وبعد، يعرض هذا الكتاب وجوهَ أهم مفكري ومثقفي اليمين الجذري، ويستحضر حججهم التي طوروها لعقود، وفي سياقات قومية متباينة. وهو يحصر وجوه اليمن الجذري هذا في خمسة وجوه. ويسوغ ذلك لا فحسب بحكم هيمنتهم المركزية والجاذبية التي ما وزالوا يمارسونها على القراء الجدد، وإنما لأن كل واحد منهم يمثل أسلوب تفكير خاص، ويفسح المجال للتعبير عن التنوع في التقليد الفكري عينه. ورغم أن المؤلف يقر بأن لا انسجام بالتمام والكمال في هذا اليمين الجذري، وأن له أوجها مبرقشة، فإنه يسعى إلى التركيز على ما يعم لا على ما يخص.

الفصل الأول: النبي

أول هؤلاء أوسوالد شبنجلر الذي يعدُّه المؤلف «أب اليمين الجذري». وقد كان الرجل ملهم النزعة المحافظة الجذرية لقرن من الزمان ولا يزال. استقلت كتاباته السياسية برسم الخطوط العريضة للسياسة في الألفية الثالثة. واستشرفت بُدُوَّ عصر سياسة هوية يسعى فيه الناس سعيا متناميا إلى التنافس بغية الحصول على الاعتراف باختلافاتهم الجماعية أكثر منه بتماثلاتهم الفردية. كما تنبأ أيضا بالدور الذي سوف تلعبه الهجرة الجماهيرية ونقل التقنية في اصطفافات سياسية كونية. على أن الرجل كان بالأولى عالم نفس ثقافي إذ نظر في ما الذي يعنيه «التعثر الديمغرافي الأبيض» في تشكيل صورة الأوروبيين والأمريكيين البيض عن أنفسهم. وكيف يلزم أن يكون رد فعلهم على البزوغ الديمغرافي والاقتصادي للعالم غير الأبيض. وقد آمن شبنجلر بأن الغرب ما كان مهيأً إلى هذا التحدي الوجودي وإلى النزاعات الحضارية التي سوف تستعر فيه. وكان جوابه عن هذا التحدي تزويد الشعوب الغربية بما اعتقد أنها في مسيس حاجة إليه: فهم بيّن لهويتها ولاختلافاتها مع الآخرين تلك الاختلافات التي لا سبيل إلى الذهول عنها ولا إلى العفو عنها.

الفصل الثاني: الرجل ذو الخيال الجامح

ينتقل المؤلف في هذا الفصل إلى من سمي «شبنجلر الإيطالي» . يوليوس إيفولا . الذي صيّر منه تعاونه مع الحركات الفاشستية أحد المثقفين الأكثر إثارة للجدل بعد الحرب. وقد امتد نشاطه لنصف قرن تقريبا، وكان مكثراً، وأطلق

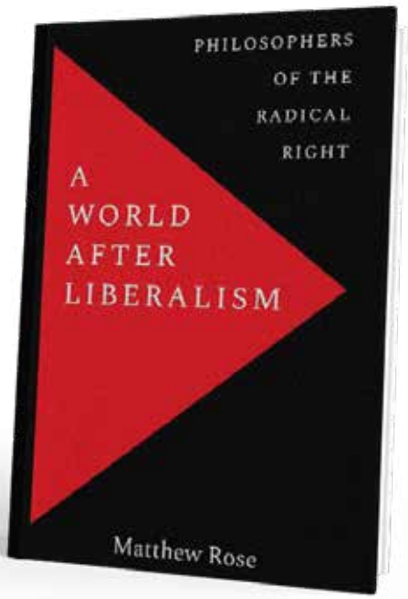

على مذهبه اسم «اليمين الحق». والرجل أشبه شيء يكون بـ«شيخ روحي» لمريديه؛ إذ أن تجاربه في زمن الحرب ومواهبه الفكرية التي لا تكاد تضاهى بوأته منزلة مميزة. وقد سعت أعماله إلى إحياء ادعاء التفاوت الطبيعي بين البشر باعتباره مبدأ كل نظام سياسي. وكان أن لجأ إلى التمثيل الأسطوري للدفاع عن رؤاه. وعبر قراءته للمظنون به على غير أهله من كتب القدامى والمحدثين نزع إلى إظهار الثابت في تكوين مجتمع البشر الذي يقوم، في نظره، على ضرب من التراتب المقدس تحت قيادة صفوة من الرجال. ولَئِنْ كنا نربط دوما بين التفكير الطوباوي واليسار السياسي، فإن إيفولا يعد بلا مدافعة أهم مفكر طوباوي من أهل اليمين يدعونا إلى تصور عالم ما بعد ليبرالي جموح مرعب.

الفصل الثالث: المعادي للسامية

يتعلق الأمر بالأمريكي فرانسيس باركر يوكي. وهو أقل مُفكري هذا الكتاب اشتهاراً، وأكثرهم مدعاة لعدم التواد مع فكرة من لدن المؤلف. كان الرجل عالما فاشستيا سعت مؤلفاته في عقد الخمسينيات إلى إلهام اليمين الأقصى الأمريكي. وقد نُذرت هذه الكتابات إلى فقدان بريقها بعد محاكمته الشهيرة وانتحاره في زنزانته بسان فرانسيسكو عام ١٩٦٠. عاش الرجل حياته وفيا لمثله، وقد أمضى عقداً من الزمن جوالا بهوية مزورة. وكان منظّراً بارزاً للنزعة السلطوية، وأحد الأوائل الذين تصوروا تحالفات مستقبلية بين عالم ما بعد الليبرالية وعالم ما بعد السوفياتية. كما سعى في مصنفه ذي المجلدين . «إمبراطورية» . إلى كشف من اعتبرهم «أعداء الثقافة الغربية الصميميين». وما كان ما شكل كابوسه الدائم أن اليهود يسيطرون بالفعل على المؤسسات السياسية والاقتصادية، وإنما بالأحرى أن الأمريكيين، وتحت تأثير «الماركسية الثقافية»، باتوا يَتَهَوَّدُون بفعل تبني عوائد اليهود واستدلالهم النقدي.

الفصل الرابع: الوثني

يدُور الكلام في هذا الفصل عن الفرنسي ألان دو بونوا الذي يرى المؤلف أن لا مفكرَ أوروبيًّا كان أشد تأثيراً منه على اليمين ما بعد الليبرالي، وأنه الملهم الأول «للنزعة الهوياتية»، وأنه مفكر يصعب تصنيف أفكاره. وقد تشكلت رؤاه استجابة للجو الثقافي الباريسي لثورة الطلاب ١٩٦٨. وقد تاثر وهو طالب شاب نشط بإيفولا ويوكي، لكنه نزع أيضا إلى أفكار اليسار الجديد: حماية الأقليات والأهالي والثقافات المحلية والأديان غير المسيحية. وكان أن دمج كل هذه الأفكار في بوثقة يمين فرنسي جديد. ونظّر لديمقراطية الشعب مدافعاً على يمين كل الشعوب وحقها في الحفاظ على عوائدها وثقافتها بل وحتى على نقائها العرقي من آثار الليبرالية الجارفة. وقد أعلن الرجل انتماءه إلى الوثنية. ورفضه لليبرالية ناجم عن رفضه للمسيحية التي يعيب عليها اجتثاثها لجذور الشعوب الأوروبية. كما أنه لا ينزع إلى إحياء موجة الاستعمار الغربية، بقدر ما يدافع عن خصوصيات كل الثقافات.

الفصل الخامس: القومي

يؤوب المؤلف من جديد إلى أمريكا وبالذات إلى من يعتبره المنظِّر المهد الأول للترامبية صامويل فرانسيس. وهو كاتب عمود ومحرر مقالات أمضى سحابة عمره في مهاجمة نزعة محافظة مثَّلَها الحزب الجمهوري على عهد ريغان وسعت إلى نقاش المترفين الفكريين الذين يمثلون طبقة سياسية محمية عمياء عن حقائق الحكم وأمور السلطة السياسية. وقد تبنى ضربا من «الماركسية اليمينية» التي تسعى إلى صياغة مذهب سياسي استجابة للبنى المادية للحياة الأمريكية والتي يمكنها أن تفكك الليبرالية التدبيرية، كما رام رسم معالم «ثورة أمريكية وسطى» بالتعبير عنها تعبيرات شعبوية وعرقية معا، هدفت على وجه الخصوص إلى استقطاب الناخبين غير المصنفين طبقيا؛ مؤلفا بذلك بين الشعبوية والقومية والحنق العرقي على التقهقر الديمغرافي للأغلبية الأمريكية البيضاء.

وأخيراً.. على الرغم من أن مؤلف الكتاب جعل من شعار المؤرخين الرومانيين القدامى «الكتابة بلا حنق أو حماس زائد» حكمته الذهبية، فحاول «إنصاف» هؤلاء المفكرين اليمنيين بحديثه عن القيمة الخلقية لاحتجاجهم على الليبرالية، مفضلاً بذلك «الفهم» قبل «الحكم»، ومؤثراً «التمحيص» على كل من طرفي النقيض: «التقديس» و«التدنيس»، ومسلّماً لهم بأنهم ما كانوا يعتبرون أنفسهم، كما يوصفون عادة، «عدميين»، وإنما هم أعداء العدمية التي هي الليبرالية؛ فإنه اعتبر أن «الإيمان المسيحي» بدل أن يجتث المؤمنين من انتماءهم الجماعي، كما ادعى بعض أولئك، يعيدهم إلى أسلافهم الحقيقيين وإلى موطنهم الأصلي.

الكتاب: عالم لما بعد الليبرالية (فلاسفة اليمين الجذري).

المؤلف: ماثيو روز

الناشر: مطبوعات جامعة ييل، نيوهفين-لندن، 2021م.

* أكاديمي مغربي

القدس: تاريخ مدينة

فرانكو كارديني

عزالدين عناية *

لا تزال مدينة القدس من أكثر مدن العالم حضوراً في قلوب المُؤمنين، لكنَّ العرب ومن ورائهم المسلمين يبقون الأكثر تعلقاً بهذه المدينة، لواقعية الجغرافيا التي تشدهم إلى أرض فلسطين وإلى ميتافيزيقية الموروث الديني التي تذكّرهم بقدسية الأرض المباركة، بيت المقدس، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وكلا العنصرين: الجغرافيا والميتافيزيقا كفيلان بتنبيه الغافلين وإرشاد السالكين، حاضراً ومستقبلاً إلى مركزية القدس في المخيال الإسلامي. لكن المدينة التي اجتاحها الغزاة في أكثر من مرة، ودمرها الظلم في أكثر من مُناسبة، هي في الأصل مدينة للإيمان، مشرعة الأبواب، كما أرادها الأنبياء والرسل، لأنها مدينة الله التي تأبى الاحتكار والاستحواذ.

نتابع في هذا المؤلف «القدس.. تاريخ مدينة»، وهو كتاب تاريخي اجتماعي، أو بالأحرى هو كتاب يمزج بين السيرة الذاتية وأدب الرحلة بخصوص علاقة كاتب بالمدينة المقدسة، وهو للباحث والأستاذ الجامعي الإيطالي فرانكو كارديني. (ففي تصريح للكاتب بشأن مؤلفه يقول: إن العنوان الأصلي للكتاب، الذي ألغاه الناشر، كان «القدس قصّة حبّ»). لذلك الكتاب ليس تأريخا بالمعنى التوثيقي والتسجيلي للأحداث التي ألّمت بهذه المدينة المُقدسة، وإنما هو قصة ولع مؤرخ بمدينة. يشرح لنا كارديني في عمله رؤيته وعلاقته بهذه المدينة الآسرة التي شدته على مدى عقود طويلة. لكن تجوال كارديني في ربوع هذه المدينة ليس بمفرده، نصادف في الكتاب زهاء ٥٠٠ شخصية تاريخية ترافقه في نصّه، يُحاول من خلالها أن يمسك بتاريخ المدينة وأطوارها وتحولاتها. وهي شخصيات مُؤثّرة، طبعت تاريخ المدينة عبر العصور، صنعته ووجهته. لذلك إن يكن المؤلّف كتاب أوتوبيوغرافيا لصيقا بالمدينة المقدسة، فهو كتاب في السيرة الذاتية لآخرين أيضا وعلاقتهم بالمدينة. والكتاب، في واقع الأمر، يكتسب قيمته من كونه يعيد صاحبه قراءة تاريخ القدس، كيف تجلى في الضمير المسيحي الغربي مع الرحالة والحجيج والمبشرين والغزاة أيضًا.

يبدأ المؤرخ كارديني في حديثه عن المدينة المقدسة بالانطلاق من تاريخها القديم وإلى غاية حاضرها الراهن. ويمتزج الحديث عن الأطوار التاريخية التي مرت بها وبمآلاتها التي تشهدها في الراهن، ثم يختتم كتابه بقلق على مستقبلها الشائك والصعب في ظل الاحتكار ومحاولات التملك. وعلى هذا الأساس فكتاب فرانكو كارديني هو قصة مدينة تاريخية تعيش في الراهن، يتمازج فيها التاريخ بالأسطورة، وتتعايش فيها الرسالات الدينية لمختلف الأتباع. ولكنها في التاريخ الحالي لا تزال تتزاحم فيها أديان عدة وتُهيمن عليها قوة سياسية واحدة تتحكم بمصيرها. هكذا يرصد كارديني التدافع السياسي الاجتماعي المحتدم في هذه المدينة والتنازع عليها في ظل مخططات سياسية لا تهدأ. وعبر نصه المكتظ بالوقائع والأحداث والنزاعات والحروب، يتتبع الرجل مسارات الأمل واليأس التي تطفو وتخبو، ويرصد وطأة التاريخ التي تثقل كاهل هذه المدينة. يسحبنا المؤرخ أحيانا نحو الماضي ويعيدنا إلى الراهن. فلم يكتب كارديني الكتاب بالصرامة العلمية المعهودة لديه في نصوصه التاريخية الكثيرة حول الحروب الصليبية، وحول تاريخ المسيحيين في القرون الوسطى، وكذلك حول تواصلهم مع المسلمين؛ بل جاء الكتاب ليبوح فيه صاحبه عن علاقة كاثوليكي مؤمن بقداسة المدينة ودورها الرسالي للبشرية جمعاء حسب منظوره. فهو يُبرز حيناً كيف تتراءى له، وآخر كيف يرى الساعين إليها، فأيّ فهم وأي علاقة وأي تواصل بين كل هؤلاء وبينها؟ وبالتالي القدس، مدينة القداسة، أو المكان المُفعم بالروحانيات كيف يراها كاريدني في تاريخها القديم وفي حاضرها الراهن ذلك فحوى الكتاب.

يرصد كارديني ما شهدته المدينة عبر تاريخها الطويل من فترات سلام ونزاع، وبحسب تقديره فقط مع القرون الأربعة، إبان الحقبة العثمانية، يمكن الحديث فيها عن سلام نسبي خيَّم على المدينة، لكن القدس حينها كانت في أفول وتراجع وفق نظرته وقد فقدت شيئًا من مركزيتها. فكأنّ قدر المدينة مجبول على الصراع، وهي كلّما اشتد عليها التنازع، فيها وحولها، تعود إلى ألقها وسحرها. ذلك ما حدث مع النبيين داود وسليمان، وكذلك إبان الحقب اللاحقة. فقد تهدّمت القدس على رؤوس ساكنيها في العديد من المناسبات، لكنها واصلت إغواءها لعشاقها وحجيجها وفاتحيها. يأتي الكتاب بمثابة رسالة مفتوحة موجهة إلى أتباع الأديان الثلاثة أن هذا المكان هو عنوان التآخي والتحاور والتعايش، وأن إنقاذها في الوعي بتاريخها وبرسالتها.

صيغ الكتاب على مراحل، وهو عبارة عن وقائع رحلات متكررة إلى المدينة، جاءت موزعة على فترات عدة قام بها الكاتب في مناسبات مختلفة. وعلى ما يصرّح به كارديني هناك هوى متبادل بين الكاتب وهذه المدينة، هناك رغبة عارمة لازمته في التوغل في أسرار المدينة، أجبرته على الإقامة فيها في العديد من المناسبات والرحيل عنها مكرهًا. حيث يتجول كارديني في أرجائها، وحيداً أو برفقة غيره، وهو يستحضر المحطات التاريخية المغرقة في القدم التي شهدتها، والراهن المتوتر الذي يلفها، والمستقبل الغامض الذي يخيم عليها. ولا شك أنّ كتابات عدة تطرّقت إلى مدينة القدس، تناولتها من أوجه عدة، دينية وتاريخية وروحية وسياسية، ولا نظن أن المؤرخ كارديني فاته ذلك، ولعل ذلك ما دفعه إلى صياغة كتاب موجز وشامل لأنماط كتابية عدة، تجمع بين النفس الصوفي والصرامة التاريخية والمسحة الأدبية أيضًا. فالكاتب يُبرز بالخصوص كيف أن هذه المدينة لا تزال تغوي المؤمنين من أديان شتى، ومن حضارات مختلفة، ولعل ذلك رصيد قوتها وجاذبيتها كما يخلص.

وفي استعراض كارديني للمحطات التاريخية الكبرى التي شهدتها المدينة، من تاريخها القديم إلى عهدها الراهن، يقلقه أن تتحول إلى عاصمة أبدية وتاريخية إلى دين بعينه وشعب دون غيره، وكأن ذلك نكران فاضح لمسارها الألفي المنفتح. يقلقه كيف أنّ العنصر المسيحي العربي الأصيل يتراجع منها بشكل متسارع،

وكيف غدت مقفرة من أتباع المسيح إلا من جاءها حاجا أو سائحا. ومع أن المدينة باتت محطة سياحية جذابة ونشطة، فإنّ ذلك لم يلغ سحرها الديني والروحي. فالكتاب فيه اكتشاف للقدس في بعديها الماضي والحاضر، وهو محاولة لمراجعة ما شهدته من تحولات وتغيرات. فلا تستطيع هذه المدينة أن تكون، وفق كارديني، سوى مدينة للسلام والإخاء، مدينة حج روحي للمؤمنين جميعا دون أي تفرقة بينهم. لكن هذه المدينة هشة وعرضة للتقلبات، فهي تختزن الأسرار الروحية للأديان الثلاثة، مع ذلك ظلّ هذا المكان المفعم بالقداسة، في غالب الأوقات، عرضة للصراعات السياسية، وإن بقيت محجّا للمؤمنين.

وكما يلوح بيّناً للمؤرخ: ليس عرضا التصارع على القدس، وليس جديدا أن تتزاحم التقاليد الدينية فيها، وأن يأتيها الناس من كل صوب بحثا عن السكينة الروحية. فهي كما يرى مدينة معاناة لعديد الأنبياء (على ما يرد في الإنجيل والتوراة)، وهي حافز من حوافز الحروب الصليبية، ومحطة متقدمة للإمبريالية العالمية، مع ذلك تأبى المدينة أن تتخلى عن رسالتها الدينية كمدينة أبدية للسلام والإيمان.

نشير إلى أن فرانكو كارديني هو من أبرز مؤرخي التاريخ الوسيط في إيطاليا، وهو باحث يقف على أرضية بحثية اشتركت فيها الأديان الثلاثة تآلفا وتصارعا وتقاربا وتباعدا. وإلمام الرجل بما يجمع الأديان الثلاثة ويفرقها، جعله على دراية عميقة بالعديد من القضايا التاريخية والاجتماعية لليهودية والمسيحية والإسلام. لذلك تجده في مؤلفه «القدس.. تاريخ مدينة» يطرح سبل تعايش أتباع هذه الأديان داخل هذه المدينة المقدسة التي تأبى الاحتكار.

وكما أشرنا آنفا تتركز اهتمامات كارديني على فترة العصور الوسطى بالأساس، فقد سبق أن تُرجم له إلى العربية كتاب «أوروبا والإسلام.. تاريخ من سوء التفاهم» دار شرقيات، ٢٠٠٨. وقد صدرت له في إيطاليا الكثير من المؤلفات نذكر منها: «صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد» (١٩٩٩)؛ «إخوة في ظلال النبي إبراهيم.. موجز تاريخي لليهودية والإسلام» (٢٠٠٠)؛ «نحن والإسلام.. هل ثمّة لقاء محتمل؟» (٢٠٠١)؛ «الحروب الصليبية حول الأراضي المقدسة» (٢٠٠٣)؛ «الأراضي المقدسة.. الحجيج الإيطاليون بين القرون الوسطى ومطلع العصر الحديث» (٢٠٠٥)؛ «التاريخ الطويل لمحاكم التفتيش» (٢٠٠٥)؛ «لورانس العرب» (٢٠٠٦)؛ «الصليب والسيف والمغامرة.. مقدمة في تاريخ الحروب

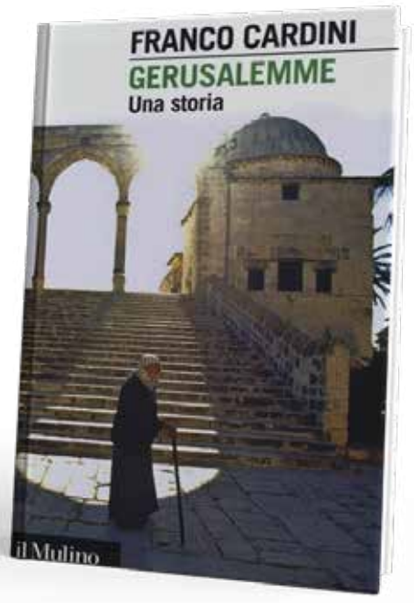

الصليبية» (٢٠٠٩)؛ «الأتراك في فيينا.. تاريخ الحصار الكبير ١٦٨٣» (٢٠١١)؛ «المسيحيون مضطهِدون ومضطهَدون» (٢٠١١)؛ «المجتمع في العصور الوسطى» (٢٠١٢)؛ «فرنسيس الأسيزي» (٢٠١٣).

في كتابه الذي نتولى عرضه لم يعتمد المؤلف على مصادر عربية في روايته لقصة المدينة المقدسة، سوى بعض الأعمال المتناثرة المترجمة إلى الألسن الغربية. وعموما لا يحضر النص العربي في مؤلفات الإيطاليين فهناك غفلة واضحة، متأتية عن مركزية غربية لا تزال تحضر بقوة حتى لدى كبار الكتّاب والمؤرخين. ورغم هذا النقص في الاطلاع على المصادر العربية لدى المؤرخ كارديني، فهو يسعى في مؤلفه، قيد العرض، إلى التأسيس إلى رؤية متسامحة بين الأديان الثلاثة. فالرجل على وعي وإدراك لما تحوزه مدينة القدس من قداسة في قلوب أتباع اليهودية والمسيحية والإسلام، وبالتالي يحرص على توزيع هذا الميراث بالتساوي بين أتباع النبي إبراهيم عليه السلام.

ولو شئنا التدقيق في تصنيف مؤلف كارديني لقلنا: ليس الكتاب مؤلفا تاريخيا، بل هو مؤلف لمؤرخ كاثوليكي غربي يشرح من منظوره تصور المدينة المقدسة ورسالتها، كيف يراها في ماضيها البعيد وفي حاضرها القريب. وربما تتأتى أهمية هذا الكتاب من كونه صادرا عن مؤرخ، يعبّر فيه عن نظرته لهذه المدينة وكيف يعيها الضمير المسيحي. فالكتاب لا ينبني على منهج تاريخي علمي صرف أو ما شابهه، وإنما هو كتاب من منظور ذاتي يروي فيه صاحبه قصته مع مدينة تاريخية مقدسة زارها مبكرا في مطلع شبابه، ثم تكرّرت زيارته وإقامته فيها على مرّ السنين.

والمؤلف كارديني يدرك جيدا كيف يُغازل قارئه ولا يثير الضجر لديه. فهو لا يثقل عليه بالرواية التاريخية الباهتة أو الإحالة المملّة، بل تجده يوجز في حديثه عن وقائع وحوادث دون إهمال أو إسفاف. ومن هذا الجانب فالمؤلف كاتب قدير ومتمرّس، على إلمام واسع ودقيق بموضوعه، وهو ما لا يتأتى إلا لمن تخصّص وتعمّق في حقله. هناك دقة لدى الكاتب في نقل الوقائع التاريخية وتوظيفها ومقارنتها أيضا بما يحضر في الراهن وبما يتطلع إليه في المستقبل.

نشير إلى أن الكتاب قد تضمّن فهارس عدة، منها فهرس للأعلام، وفهرس للأماكن، إضافة إلى جرد بأهمّ الوقائع التي شهدتها مدينة القدس منذ تاريخها القديم وإلى عهدها الحالي. بالإضافة إلى ذلك قائمة بالمراجع الغربية. وعلاوة على ذلك تضمّن الكتاب جملة من الرسوم والخرائط، ناهيك عن صور لمواقع تاريخية وأثرية لغرض التوضيح. واللافت أن الصحافة الإيطالية قد تناولت كتاب كارديني باهتمام، ولعل ذلك عائد إلى توفيق المؤرخ في إعادة الوجه المسالم والجميل للمدينة، كما أرادها الله، بعيدا عن الصراعات التي تحجب صورتها الحقيقية. وهو بمنظور عام كتاب قيّم جدير بالترجمة وإن لم ينقل إلى العربية جزئيا أو كليا. وهو وإن يندرج بين كتب الرحلات والسيرة والتاريخ، فهو يبقى نصا يروي علاقة الكاتب بهذه المدينة بعد رحلات عدة جاءت على فترات عدة وفي مناسبات كثيرة. ولما تضمّنه من قلق على مستقبلها وخوف على مصيرها فالمؤلف غير مرتاح لوضعها الحالي. وربما الشيء المهم في هذا الكتاب وهو فحوى نظرة مؤرخ غربي معاصر إلى مدينة القدس، كيف يراها؟ وهو ما نحتاج إليه لندرك من جانبنا كيف تحضر هذه المدينة المقدسة في مخيال مثقف مسيحي غربي.

الكتاب: القدس: تاريخ مدينة.

تأليف: فرانكو كارديني.

الناشر: دار إيل مولينو (مدينة بولونيا -إيطاليا) «باللغة الإيطالية».

سنة النشر: 2022.

عدد الصفحات: 311 ص.

* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا

الصحة الاجتماعية

نيكولا دوفو ونياديج فيزينا

سعيد بوكرامي *

أظهرت الأزمة الصحية العالمية وجود صلة بين الصحة والتفاوتات الاجتماعية وديناميات التمييز، بحيث قدمت لنا هذه الأخيرة دروساً صادمة، دعت الجميع، دولاً غنية أو نامية أو فقيرة إلى إعادة اكتشاف الوضع الصحي الهش الذي راهن على التقسيم القوي للأبعاد الاجتماعية والصحية في الرعاية والحماية اللتين توفرهما المؤسسات.

إذا كان الأمر يتعلق بتوفير رعاية أفضل وتنفيذ نظام أكثر مساواة وفعالية، فإن الانفتاح على الرأسمال الليبرالي ليس مرغوباً فيه بالتأكيد. وإذا كانت مسألة إنفاق أفضل (بدلاً من إنفاق أقل)، فلابد من الاعتراف بأنه سيكون من الضروري أيضاً إنفاق المزيد في البلدان النامية، حيث يتزايد عدد السكان كما أن متوسط العمر المتوقع آخذ في الازدياد. هناك أيضاً مجموعة من الاحتياجات الصحية غير المنجزة حتى الآن، والتي تتطلب - لكنها خيار مجتمعي - تكريس حصة أكبر من الثروة المحلية للنظام الصحي، وتخصيص المزيد من الموارد للصحة في المستقبل لتفادي الأزمات الصحية والبيئية القادمة.

لنقاش هذه القضايا يقدم الكتاب الجديد الصادر عن سلسلة بيف المتمحور حول الرعاية الصحية الاجتماعية دروساً رئيسية لإعادة اكتشاف الأزمة الصحية ومنظومتها الهشة. لهذا يقترح مؤلفوه فهم كيفية الانتقال من الطب إلى الصحة الاجتماعية موضحين أن هذه الأخيرة تعتمد مقاربة علاجية ووقائية جماعية وفردية؛ تشرك الرعاية بالحقوق الاجتماعية، بحيث توضع الصحة في قلب التضامن الاجتماعي والإنساني. وقد ساهم في هذا العمل الجماعي كل من ماوريسيو أرانـدا، وجان شارل باسون، ونيكولا دا سيلفا، ونيكولا دوفو، وماريز غادرو، وإيغور مارتيناش، ونياديج فيزينا.

وقد ركزت كل المداخلات على دور الرعاية والمراكز الصحية ونقاط الوصول إلى الرعاية الصحية والمقاربة المجتمعية في خلق حماية وعدالة واستقرار اجتماعي. ويتمثل الهدف المشترك في تنفيذ مبادئ الصحة الاجتماعية. على عكس الصحة العامة، التي تقوم على منطق علاجي بحت، بينما تدافع الصحة الاجتماعية عن مفهوم الرعاية المهتمة بالتشابك بين الهشاشة الاجتماعية والصحية. ويضم هذا الكتاب الموجز الذي نسقه نيكولا دوفو ونياديج فيزينا خمس مساهمات تحلل هذه المبادرات وتشير إلى التحسن الحالي في الوصول إلى الرعاية الصحية. في العتبة التمهيدية، يرسم نيكولا دوفو ونياديج فيزينا صورة اجتماعية وتاريخية لظهور الصحة الاجتماعية كفئة للعمل العمومي. إذا كان اكتشاف «السؤال الاجتماعي» في القرن التاسع عشر قد فرض معالجة مشتركة للقضايا الصحية والاجتماعية، فإنَّ هاتين المسألتين أصبحتا مستقلتين جزئياً خلال القرن العشرين. وتتوسم مبادرات الصحة الاجتماعية الحديثة إعادة دمج المجتمع في الرعاية من خلال إعادة التأكيد على الترابط المتبادل بين أفراد المجتمع، فضلاً عن الأصل الاجتماعي للمرض. وتهدف هذه الأنظمة في المقام الأول إلى ربط الدعم الاجتماعي بالعلاج، بحيث ترتكز المتابعة الطبية على مراعاة الظروف المعيشية والمادية للمرضى. من جهة أخرى، فإن الصحة الاجتماعية تحرص على ألا يقتصر الاهتمام بوصفة الأدوية فقط، ولكن أيضًا على تقديمها دورا رئيسيا لتعزيز هذه الصحة. وهاتان الضرورتان - الانفتاح على الحقوق الاجتماعية والوقاية الصحية - يرتكزان على مقاربة «الوصول» إلى السكان المستهدفين، مع مراعاة بعدهم الجغرافي المعتاد عن النظام الصحي. وهنا، تتجسد فاعلية مبادرات الصحة الاجتماعية، لأنها جزء من «توزيع الرعاية الصحية «بالإضافة إلى تكريس» حكامة نوعية ومخصصة للجمهور المستهدف» (ص ٢٣)، ولهذا يدعونا مؤلفو الكتاب إلى مراقبة التأثيرات المتناقضة على المجتمع نتيجة عدم المساواة في الصحة. وبدون أن نحصر المبادرات في حدودها المثالية، فإن هذه الأجهزة تستحق الاهتمام الكامل، لأنها تحمل في حالة انعدامها «تخمّرًا لزعزعة استقرار التوافقات والتعاقدات المؤسسية والاجتماعية» (ص ٢٤).

يتتبع الفصل الأول تطور العلاقة بين الطب الليبرالي والتضامن الوطني. يقوم نيكولاس دا سيلفا وماريز جادرو بتحليل الطريقة التي ارتبط بها أطباء المدينة بأهداف الصحة العامة طوال القرن العشرين. في الفترة الأولى، بين نهاية القرن التاسع عشر وفترة الثمانينيات، أتاحت التنشئة الاجتماعية لتمويل الاستشارات إلى زيادة الطلب على الصحة وبالتالي توسيع نطاق الوصول إلى الرعاية؛ إذ كافح الأطباء لفترة طويلة «ضد تدخل طرف ثالث في الرعاية الاجتماعية» (ص ٣٠)، وبذلك فإن مبدأ التضامن الوطني قد انتصر مع المراسيم الصادرة والقوانين التشريعية بشأن إنشاء الضمان الاجتماعي، ثم امتد ليشمل جميع أفراد المجتمع والأقاليم. في قانون ١٢ مايو ١٩٦٠، والذي ينص على سداد ٨٠٪ من تكاليف رعاية المدينة وتحديد معدل التعويض الاجتماعي المتفق عليه. لكن في مطلع التسعينيات، أفسح المجال لتنظيم الأسعار والممارسات الطبية، وبذلك انسحبت الدولة من تمويل الرعاية الصحية لصالح سوق التأمين الخاص، وقامت بتطبيع النشاط الطبي من خلال فرض أهداف للممارسة الطبية المحددة. وهكذا هيمنت حجة جودة الرعاية على فكرة توسيع نطاق الوصول إلى الرعاية الصحية، التي لم يعد طب المدينة قادرًا على توفيرها.

أما الفصل الثاني، فيشدد على مهام المراكز الصحية البلدية لتحسين إمكانية الوصول إلى الرعاية - على عكس نكسات الطب الليبرالي. وهنا عاد إيغور مارتيناش ونياديج فيزينا أولاً إلى الموارد والتنظيم والميزانية المتاحة للبلديات لتنفيذ الإجـراءات الصحية. من بين الأدوات التي تستخدمها البلديات لتنفيذ «مفهوم معين للصحة العامة» (ص ٥١)، تعمل المراكز الصحية بمثابة «الرائد في سياسة الصحة المحلية» (ص ٥٤). ويتيح الشكل التنظيمي الهجين الذي اتخذته هذه المراكز إلى توفير رعاية شاملة للأشخاص. مع راتب متباين للمهنيين، من خلال عملها الجدي على تقديم نفسها كمنظمات ذات طابع إنساني، ومن خلالها تتحقق المساواة في الحصول على الصحة الاجتماعية.

يعرض الفصل الثالث خصوصيات المراكز الصحية متعددة التخصصات، والتي تتموقع بين طب المدينة التقليدي والمراكز الصحية، التي تتميز «بأبعادها المهنية المتعددة والتزامها بمشروع صحي» (ص ٥٩). توضح نياديج فازينا، مؤلفة الفصل، أن هذه المنظمات، على الرغم من كونها متحررة وموزعة بشكل غير متكافئ في الأقاليم، إلا أنها تمكنت من جعل الرعاية متاحة ومستمرة وشاملة. وهي بذلك توجه العمل في دور رعاية المسنين من خلال نشاطين: النشاط الطبي الجماعي بدلاً من النشاط الطبي الفردي، وتنسيق الرعاية بين مختلف المهنيين الصحيين. وبالتالي فإن دور رعاية المسنين تعوض «النقص الصارخ في الحصول إلى الرعاية الصحية» (ص ٧٠).

بينما يركز الفصل الرابع، الذي كتبه ماوريسيو أرانـدا ونيكولاس دوفو، على أماكن الإقامة للحصول على الرعاية الصحية التي بينا أنها إحدى نتائج «توسيع المساعدة في

النظام الصحي» (ص ٧٣). وتعد جوازات المرور جزءًا من الأنظمة التي طورت منذ الثمانينيات من أجل السكان الذين لا يتمتعون بحقوق اجتماعية ولا موارد. إن غياب جواز المرور ناتج عن عدم وجود غطاء الضمان الاجتماعي لمعظم المستخدمين. وبالتالي، فإن الدعم الاجتماعي المقدم ضمن التصاريح يشكل «بوابة لدراسة تحولات الحماية الاجتماعية» (ص ٨٦) كما يبين تراجع حقوق المؤمن وضرورة تطوير شبكات المساعدة للمستبعدين. وهنا استحضر الفصل مفارقة الحكامة(*) المتمثلة في أن: «الدولة تهاجم الإقصاء، بينما تزيل الأسوار التي تمنع اتساع التفاوتات» (ص ٨٦).

أما الفصل الخامس والأخير الذي كتبه جان شارل باسون فقد اهتمّ بـ«بدور مراكز القرب» التي تكون على شكل مراكز صغيرة تتوفر على شروط الرعاية الصحية الأولية وتعتمد في تنظيمها على الإدارة الذاتية، ولها ميزة اجتماعية ونفسية، بحيث توفر الاستماع والخدمات المجانية «(ص ٩٠) لسكان الأقاليم. وهي غالبا ما تقع في منطقة شعبية في وسط المدينة، وتجعل من مكانها أساس كفاحها ضد التفاوتات الاجتماعية في الصحة. ويسهر على صحة القرب مجموعة من «الوسطاء الصحيين المجتمعيين» (ص ٩٧)، وهم متطوعون ومرضى سابقون عانوا هم أنفسهم من أوضاع مشابهة، والذين يلعبون دورًا وسيطًا بين الفئات الضعيفة من السكان والمسؤولين الحكوميين. عموما تعمل هذه المبادرات المختلفة (المراكز الصحية، والمراكز الصحية متعددة المهن، والتصاريح والجوازات، والتأمين الصحي، ومراكز القرب) على مراعاة جميع المحددات الاجتماعية للصحة من خلال الاستفادة من مقاربة تداخل مهني قوي. وقد بدأ هذا الاهتمام منذ النصف الأول من القرن العشرين مع تحسن الرعاية الصحية توسعت مسالك الوصول إلى الرعاية القائمة على التضامن الوطني، لكن الطب الليبرالي وضع نفسه ضد هذه التنشئة الاجتماعية التضامنية. وبذلك تحول منطق الصحة العامة «من تنظيم الأسعار إلى تنظيم الممارسات» بهدف التحكم في الإنفاق. تشير الاتفاقيات الطبية إلى تراجع معدل التعرفة في الطب المدني، مما أدى إلى ظهور تباين في الرعاية الصحية. رغم أن السياسات العامة تحدد المعايير والحوافز والضوابط بهدف تحسين الرعاية مع توحيد المهنة. ورغم القوانين المحددة للمكافآت القائمة على أهداف الصحة العامة، فإن نمطًا جديدًا للأجور أصبح أحد ركائز مكافأة الأطباء المستقلين مما جعل الوصول إلى الرعاية الصحية معقدا أحيانا ومتعذرا في بعض الأحيان على الفئات الاجتماعية الهشة.

وهنا يوجه المؤلفون نقداً واضحاً للنظام الصحي المستسلم لإغراءات الطب الليبرالي، وبذلك أقحم التغيير في المنطق

تحولًا في تمويل الرعاية. لهذا كان لزاما على الدولة توسيع التأمين التكميلي، ونتيجة لذلك توجه تمويل النظام الصحي نحو القطاع الخاص من خلال تشغيله من قبل المؤسسات الليبرالية الجديدة وشركات التأمين، لمواكبة منطق السوق العالمي.

في هذا الجانب، يتساءل إيغور مارتيناش ونياديج فيزينا عن مكانة البلديات من حيث توجهات وعروض الصحة العامة. فإذا كانت قوانين الرعاية الصحية تفرض على السلطات المحلية تقديم المساعدة الصحية، إلا أنها غالبا ما تكون ضئيلة، وبذلك تبقى الصحة محصورة بين الدولة والطب الليبرالي. على الرغم من كل شيء، فإن لديها وسائل متنوعة للعمل في مجال الصحة، منها: التنظيم، للتأثير على صحة السكان المحليين، والميزانية، للاستثمار في المرافق لزيادة توفير الرعاية. ومع ذلك، لا تزال المجتمعات تعتمد على الإطار الذي وضعته الدولة في مجال الرعاية الصحية. لذلك يجدون أنفسهم في منافسة، لا سيما لجذب مقدمي الرعاية إلى أقاليمهم. وبالتالي، فإن الصحة على مستوى البلديات لها بعد سياسي قوي، لأنها تعبر عن الاختيارات التي وضعت البلدية لمفهوم للصحة العامة، والتي ستعطي الأولوية لمتغيرات مختلفة: الاستثمار في الصحة أو إفساح المجال أمام الليبراليين.

من بين الخيارات المتاحة للبلديات، تبدو مراكز القرب أداة مثيرة للاهتمام، لأنها مراكز محلية توفر الرعاية الأولية أو الثانية. ومادامت اجتماعية في جوهرها فهي توفر التغطية المالية والصحية لفئات معوزة كبيرة وهذا يدخل في صميم مشروعها السياسي والاجتماعي. ومع ذلك، يؤدي العمل الاجتماعي بالتوازي مع أنشطة الرعاية إلى توترات تتعلق بتوفير مقدمي الرعاية الصحية التضامنية. علاوة على ذلك، فإن تحديد نطاق الجمهور المستهدف يصبح مشكلة لا يستهان بها. ومع ذلك، تبقى مراكز القرب «رائدة في السياسة الصحية المحلية»: كما أن الاستثمار فيها يسمح للبلديات بتعزيز أهداف الصحة الاجتماعية واستعادة تسيير سياسة الصحة العامة، والاستمرار في مراكز القرار، ومع ذلك، فإن القيم السياسية للمسؤولين المنتخبين تؤثر على القرارات المالية واختيار الاستثمارات في المراكز الصحية.

ويتجلى ذلك من خلال تعزيز تنسيق الرعاية الأولية والتبادلات بين المهن الاجتماعية والطبية والاجتماعية، بحيث تشارك المراكز الصحية متعددة التخصصات في التفكيك التدريجي بين ما هو طبي واجتماعي. لا يُنظر إلى الرعاية على أنها عمل طبي فحسب، بل أيضًا «كاستجابة لحالة اجتماعية ولشخصية المريض». على الرغم من أن هذه المراكز لا تزال مؤسسات ليبرالية، إلا أنها تتوفر على رصيد في مكافحة التفاوتات الاجتماعية في الصحة، وكذلك خطوة أخرى في نشر «مقاربة شمولية للرعاية الصحية».

وفي السياق ذاته يوفر نظام الجواز الصحي انسيابية في الوصول إلى الرعاية الصحية، تتماشى بشكل أكبر مع هدف مكافحة الإقصاء من خلال تكليف مقدمي الرعاية بدور الاحتضان والمواكبة والتوجيه للقضاء على عدم المساواة في الحصول على الرعاية الصحية.

وأخيرا يفصل الكتاب بدقة دوافع هذه الأنظمة ويحلل مفهوم الصحة الاجتماعية في ضوء تطبيقها العملي في مجال الرعاية الصحية، ويقدم نقداً لاذعاً للتوجه الليبرالي نحو الاستثمار في المجال الصحي واحتكار الرعاية الصحية من طرف الشركات العالمية التي جنت أموالاً هائلة خلال فترة الأزمة الصحية العالمية، و«جعل الصحة في خدمة المال والمال في خدمة الصحة» يوجه الكتاب ملحاً إلى ضرورة توفير الصحة الاجتماعية للحفاظ على الجانب الإنساني في المنظومة الطبية التي ستعرف تحولات جذرية في السنوات القادمة.

الكتاب: الصحة الاجتماعية.

المؤلف: نيكولا دوفو، ونياديج فيزينا

دار النشر: دار بيف، سلسلة «حياة الأفكار». فرنسا

تاريخ النشر: 2022

عدد الصفحات: 107 ص

اللغة الفرنسية

(*) الحكامة من المصطلحات التي اتت من البنك الدولي ويقصد بها أسلوب الحكم وممارسة السلطة الذي يوصل الى التدبير الجيد والفعال للموارد الاقتصادية والإجتماعية لتحقيق تنمية حقيقية.

* كاتب ومترجم مغربي

الاضطراب: الأحداث الصعبة في القرن الحادي والعشرين

هيلين طومسون

محمد السالمي *

جلب القرن الحادي والعشرون موجة قوية من الصدمات الجيوسياسية والاقتصادية؛ حيث أدت تداعياتها إلى زعزعة الاستقرار في الشرق الأوسط، وتمزيق الاتحاد الأوروبي، وكشفت خطوط الصدع في السياسية القديمة للولايات المتحدة، مما أفرز عصراً جديداً من المنافسة الجيوسياسية. تحاول هيلين طومسون في هذا الكتاب « الاضطراب: الأحداث الصعبة في القرن الحادي والعشرين» توضيح القوى الاقتصادية والسياسية التي تشكل عالمنا وتعيد تشكيله. يتمحور سرد الكتاب حول ثلاث قوى: الجغرافيا السياسية، والاقتصاد العالمي، والديمقراطيات الغربية.

وللتعريف بالكاتبة، فهيلين طومسون هي أستاذة الاقتصاد السياسي بجامعة كامبريدج، ولها العديد من المؤلفات منها كتاب «النفط والأزمة الاقتصادية الغربية» (٢٠١٧)، و«الصين والرهن العقاري في أمريكا» (٢٠١٠). كما لدى هيلين العديد من المقالات في جريدتي نيويورك تايمز والفايننشال تايمز.

تركز المؤلفة في الفصل الأول على الحديث عن الجغرافيا السياسية للطاقة، وتحديداً النفط. وتناقش أبعاد سياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وكذلك أبعاد السيطرة الروسية على إمدادات الغاز الأوروبية. أما الفصل الثاني فيتعلق بالاقتصاد والجانب المالي، حيث يدرس تطور الاقتصاد العالمي مرورا بانهيار تسوية بريتون وودز والأزمة المالية العالمية وما تلاها من عاصفة التحديات التي تلوح في آفاق الاتحاد الاقتصادي والنقدي الأوروبي. والفصل الثالث يتعلق بالسياسة الديموقراطية والمتمثلة في الإصلاح ومستوى الضرائب. وإجمالاً، تربط المؤلفة هذه المحاور الثلاثة لتسلط الضوء على المشهد السياسي المتغير في أوروبا، والتطورات في سوق الطاقة وتأثير الأزمات المالية وأزمة منطقة اليورو على الأحزاب السياسية.

تبدأ طومسون بسرد السياق التاريخي للاكتشافات النفطية الأولى وذلك في الولايات المتحدة والقوقاز في القرن التاسع عشر. ومع بداية القرن العشرين، كان النفط يحل محل الفحم كقوة دافعة للقوة العسكرية. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة تملك الوفرة من النفط، إلا أن القوى العظمى في أوروبا الغربية لم تكن تمتلكها. فخلال الحرب العالمية الأولى، بذلت بريطانيا وفرنسا جهوداً للسيطرة على الإمبراطورية العثمانية المُتلاشية، ولكنهما طلبتا النفط والمال من الولايات المتحدة وأنهيتا الحرب بديون كبيرة. ولا ريب أن الإعتماد على النفط من ناحية وفقر الطاقة من ناحية أخرى قد خلق نقاط ضعف استراتيجية للمجتمعات الصناعية التي أصبحت فجأة تعتمد على الواردات مما وضعها على نحو غير مؤات خلال الحرب العالمية الأولى. في المقابل، صنفت طومسون الحرب العالمية الثانية على أنها انتصار لمنتجي النفط «الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي» وحلفائهما ضد المحور المتعطش والمستورد للنفط والمتمثل في ألمانيا واليابان. أما القصة خلال الحرب الباردة فهي في ركود إنتاج النفط الأمريكي والذي بدأ في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي وسط ارتفاع الطلب المحلي والعالمي. ومع ارتفاع الإنتاج في أماكن أخرى من العالم، كانت النتيجة الإجمالية هي زيادة الاعتماد على الواردات، والتي ارتفعت إلى ما يقرب من ١٥٪ من إجمالي استهلاك الولايات المتحدة بحلول مُنتصف الستينيات، واستمر مساره التصاعدي ليغطي ما يقرب نصف الطلب الأمريكي على النفط الخام بحلول نهاية السبعينيات. وحتى من دون منظومة التحكم بالعرض التي صممتها منظمة البلدان المصدرة للنفط «أوبك» في عام ١٩٧٣، كان لا بد أن يكون هناك تحول في التوازن بين المنتجين والمستهلكين.

ولم يتجاوز الاستهلاك العالمي للنفط الخام ذروة عام ١٩٧٩ حتى منتصف التسعينيات، ويرجع الفضل في ذلك في الغالب إلى التحسينات الكبيرة في كفاءة الطاقة. وفي غضون ذلك، عزز وجود لاعبين مثل الاتحاد السوفيتي وبحر الشمال والمكسيك والصين في الساحة إلى زيادة المعروض من النفط. وفي هذا الجانب، فقد انتهز الأوروبيون بفارغ الصبر ما اعتبروه فرصة للتنويع بعيداً عن إمدادات الطاقة غير الموثوقة في الشرق الأوسط من خلال احتواء السوفييت.

أصبحت قصة طومسون مثيرة للاهتمام بشكل خاص بعد تفكك الاتحاد السوفيتي. ظلت روسيا مورداً رئيسياً للنفط والغاز لأوروبا. كما لاحظت طومسون مراراً وتكراراً، اعتماد ألمان على النفط والغاز الروسي بشكل شبه مستمر منذ القرن التاسع عشر. وبدلاً من الانحراف، يجب فهم التحالف غير اللائق بين الصناعيين الألمان، والطبقة السياسية، وروسيا على أنه مجرد تكرار أخير لشراكة طويلة الأمد بين اقتصادين متكاملين. وفي الوقت نفسه، أصبحت العديد من جمهوريات القوقاز وآسيا الوسطى الجديدة منتجة للطاقة، مع طموحات لإرسال الوقود الأحفوري إلى أوروبا عبر بحر قزوين وتركيا.

وأدى النمو السريع للصين إلى زيادة هائلة في الطلب العالمي على الوقود الأحفوري الذي لم يُقابله ارتفاع المعروض حتى ظهور النفط والغاز الصخري في الولايات المتحدة. وقد تحولت الصين أيضاً من كونها مُصدّرة صافية للنفط إلى مستورد صاف في التسعينيات، ولتصبح المنافس الأول في الطلب العالمي على الطاقة. وكانت النتيجة سلسلة مزعزعة للاستقرار من طفرات وكساد في الأسعار، فضلاً عن تحول جذري في رغبة الأمريكيين في الاستثمار في أمن الشرق الأوسط، وشرق أفريقيا وشمالها. وفي نفس سياق الطاقة، تهيمن الصين بالفعل على صناعة الطاقة المتجددة، وهي تستعد لقيادة موجة الطاقة في المستقبل. وهذا ملخص مختصر للغاية لتاريخ النفط والجغرافيا السياسية شديد التعقيد

المقدم في الكتاب.

وبالانتقال إلى التاريخ الاقتصادي، يتطرق الكتاب لاحتياج الدول الأوروبية إلى الدولارات في أعقاب الحرب العالمية الثانية، والذي قادهم لاختراع «يورودولار» وهي ودائع بالدولار الأمريكي في بنوك خارج الولايات المتحدة، وبالتالي فهي ليست خاضعة لسلطة الاحتياطي الفيدرالي. وبحلول نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، كانت البنوك تتاجر وتقرض هذه الدولارات الخارجية في لندن. عزز هذا الأمر في تحرك رأس المال بحرية من الضوابط التي فرضتها الحكومات الأوروبية على رأس المال، أو الضوابط على أسعار الفائدة التي تديرها وزارة الخزانة الأمريكية. وبحلول منتصف الستينيات، ظهر سوق ائتمان كبير «لليورودولار». كانت تهيمن عليها البنوك الأمريكية بشكل متزايد حتى أنها أنشأت فروعاً في لندن للمشاركة، وسمحت للشركات الأوروبية بالاقتراض بالدولار الخارجي. وعلى وصف طومسون، فإن الطريقة التي عملت بها أسواق ائتمان «اليورودولار» بعيدة كل البعد عن الشفافية وولدت كمية متسارعة من الدولارات لتكون في النهاية خارج سيطرة أو سلطة أي بنك مركزي.

من ثم تتطرق طومسون بإسهاب من «بريتون وودز» في السبعينيات إلى الأزمة المالية العالمية خلال ٢٠٠٧-٢٠٠٨. كان التيسير الكمي والذي يهدف في المقام الأول لخفض أسعار الفائدة وتوفير السيولة المالية للاقتصادات، عاملاً أساسياً في القدرة على تجنب الكساد الكبير، ولكن استمرار استخدامه طوال العقد الأول من القرن الحادي والعشرين ومرة أخرى أثناء الوباء، أدى إلى ظهور تهديدات مثل زيادة عدم المساواة بسبب تضخم أسعار الأصول. كما جعلت أسعار الفائدة المنخفضة في أعقاب الانهيارات ثورة النفط الصخري في أمريكا الشمالية ممكنة مالياً، مما أدى إلى زيادة المعروض من النفط، وبالتالي خفض الأسعار، والحفاظ على معدل التضخم منخفضاً على مستوى العالم لفترة طويلة. كما أنَّ الحوافز المالية الضخمة التي قدمتها الصين إلى العديد من الاقتصادات عبر مشاريع الفحم المحلية والدولية تسببت في زيادة انبعاثات غازات الاحتباس الحراري.

وفيما يتعلق بالسياسة الديمقراطية، حددت طومسون مصدرين لعدم الاستقرار المحتمل وهما: الإفراط الديمقراطي، والتجاوز الأرستقراطي. الأول هو عندما تفرط الحكومة في الإنفاق لتلبية مطالب الشعب قصيرة المدى. أما الثاني هو عندما يستخدمه أولئك الذين يتمتعون بسلطة أكبر داخل الديمقراطية

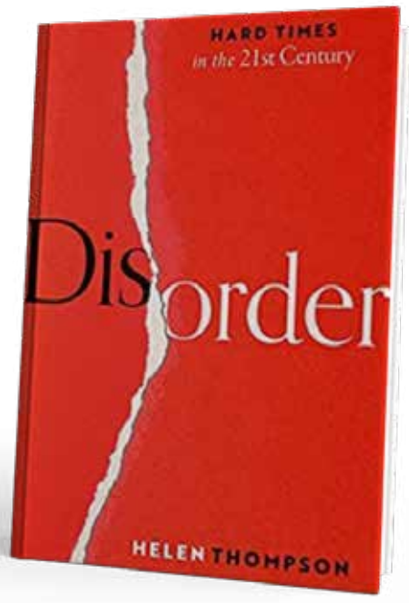

لتحقيق غاياتهم الخاصة على حساب عامة الناس. على سبيل المثال، سمحت التدفقات الدولية لرأس المال باستغلال الأثرياء للملاذات الضريبية، وهو أمر غير مفتوح لدافعي الضرائب العاديين، مما تسبب في مظالم مشروعة من جانب عامة الناس. شكل آخر من أشكال الإفراط الأرستقراطي هو نقل التصنيع إلى خارج الدول الغربية، مما أدى إلى تحقيق أرباح أعلى للشركات ومساهميها مع تقليل فرص العمل للأعضاء الأقل ثراءً في تلك الدول. لقد هدد التمويل الدولي أيضاً إحدى وسائل الشعور بالأمّة، والمتمثلة في العلاقة بين الدائن والمدين. فخلال فترات الضوابط التي تحافظ على رأس المال داخل الحدود الوطنية، يقرض المواطنون الحكومات لتقديم الخدمات، وخلق مجتمع اقتصادي من المواطنين الذين يتشاركون تلك الخدمات، وبالتالي الشعور بالأمّة. أما داخل الاتحاد الأوروبي، فقد حددت طومسون مساراً مختلفاً من عدم الاستقرار الديمقراطي الناجم عن الإفراط الأرستقراطي، والذي كان في جزء كبير منه نتيجة لظروف إنشاء وتطوير منطقة اليورو. حسب روايتها، اقترن تنامي دور البنك المركزي الأوروبي بالفشل في تحقيق المصادقة الديمقراطية على معاهدات الاتحاد الأوروبي على المستوى الوطني. فقد تم إعادة تسمية هذه المعاهدات دون تغيير جوهري على المستوى التنفيذي لها مما خلق عجزاً ديمقراطياً. على سبيل المثال، طغى التأثير الألماني على منطقة اليورو والذي بدوره دفع بالبنك المركزي الأوروبي لاحتواء التضخم عبر الإنفاق الحكومي. وبعد أن قضت المحكمة الدستورية الألمانية بأن الاتحاد الأوروبي يجب أن يتصرف وفقاً للقانون الأساسي الألماني، فإن الأعضاء الآخرين في منطقة اليورو كانوا ولا يزالون مقيدين في وضع سياستهم الاقتصادية. في المقابل، لم يكن لدى ألمانيا كل شيء بطريقتها الخاصة؛ فمن جانب دول منطقة اليورو، تجاوز الاقتراض الحد المتفق عليه في معاهدة لشبونة، مما وولد لدى دافعي الضرائب الألمان الشعور بأنهم يدفعون مقابل الإنفاق في دول الاتحاد الأوروبي الأخرى.

وتختتم طومسون في تشخيصها لمنطقة اليورو، وعلى الرغم من أنه تصور بعيد عن المنطق، والمتمثل بدفع منطقة اليورو نحو الاتحاد المالي مع الضرائب المصاحبة. ومع ذلك، فهي تشير إلى أن ما تبقى سياسياً من القومية في الديمقراطيات الأوروبية قد يكون غير كافٍ لدعم الدولة الضريبية أو القبول بفكرة شعب يمكنه شرعية ضرائب على مستوى منطقة اليورو على المواطنين.

تقر البروفيسور طومسون منذ البداية أن تركيزها على الثلاثي الجغرافيا السياسية للطاقة والتمويل والسياسة الديمقراطية لا يفسر تماماً الأحداث العالمية؛ فالقوى الثقافية والدينية لهما أيضا دور محوري. وعلى الرغم من أنه كتاب ثري بالسرد، إلا أنه معقد نوعاً ما، ومثير للجدل فيما يتعلق بتحليل الوقائع. وإجمالا حاز الكتاب على استحسان النقاد وتم تظمينه في قائمة الفايننشال تايمز لهذا العام.

الكتاب: الاضطراب: الأحداث الصعبة في القرن الحادي والعشرين

المؤلفة: Helen Thompson

الناشر: Oxford University Press

سنة النشر: 2022

عدد الصفحات: 348 صفحة

* كاتب عُماني

السياج كـ«توازن» للقوى

فاليري سافتشوك

فكتوريا زاريتوفسكايا *

لم يكتسب مفهوم «السياج» والمفاهيم الأخرى المرتبطة به -كالجدار أو الحاجز- الاهتمام الواجب من قِبل علماء ومنظِّري وفلاسفة الثقافة، لكنه أصبح موضوعا للدراسة التي نشرها معهد الفلسفة التابع لجامعة سانت بطرسبورغ الحكومي. ينطلق فاليري سافتشوك من حقيقة أن لهذه المفاهيم أصولاً ثقافية، إضافة إلى ارتباطها بطقوس التضحيات والطقوس الجنائزية التي تعود إلى أزمنة قديمة أو بتداخلها بمختلف فروع الفنون. يقول الباحث إن مفهوم السياج الفريد ما فتئ يفصل بين الثقافة والطبيعة، بين المصطنع والحقيقي، النظام والفوضى، المقدس والدنيوي وبين الداخلي والخارجي.

يُقدم الكتاب صورة كاملة عن تطوُّر فكرة السياج الذي ترتسم به الحدود كمؤشر لتطور البشرية. وتتدرج فكرة السياج فيتشبه بادئ ذي بدئ بصورة الجنة، ثم القلعة، ثم السجن، فالمدينة وبعدها الدولة، ثم يمر عبر أسوار شفافة أو مصبوبة وأسوار من الأسلاك الشائكة والجدران الزجاجية المضادة للرصاص حتى نصل إلى «جدران» وسائل التواصل الاجتماعي في المنتديات والمواقع الإلكترونية، وكل خطوة من تطور فكرة السياج تتضمن انعكاسا للأخلاق وللحالة الاقتصادية والسياسية وحقوق الإنسان وثقافة البلدان والمناطق.

ومن الدوافع الأوَّلية لكتابة هذا البحث أنّ هناك إهتماما بحالة الأسيجة والأسوار بأنواعها وذلك ضمن البيئة المعمارية الحديثة وتأثيرها الخطير على نوعية الحياة بشكل عام والبيئة البصرية بشكل خاص. يحلل الكاتب أعمال الفنانين المعاصرين الذين يستنبطون ظاهرة السياج بوسائلهم الخاصة . كما تبرز بصورة جلية الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والأخلاقية لبناء السياج. وأخيرًا يستعرض الكاتب الأسوار والجدران من الزاوية الإعلامية المعاصرة.

ومن المنظور التاريخي والثقافي ارتبط السياج (السور، الجدار) بداية الأمر ارتباطًا وثيقًا بالحديقة والجنة التي كانت البشرية تسعى إلى محاكاتها في الأرض. ويقترب أصل كلمة سياج أو مأوى في العديد من اللغات الأوروبية من كلمة حديقة. كل الأعمال المرتبطة بالحديقة تهدف إلى تقريبها من جمال الجنة الغامض، ومن ينسّق حديقة فلا بدَّ له أن يرسم حدودها ويطوقها بالسياج، فبهذه الطريقة فقط يمكن حماية الجمال وإدارته. كما أن الحديقة المسورة تمنح شعورًا بالهدوء والرفاه: رشقات النافورة اللطيفة وروائح الأعشاب الشرقية والزهور وغناء الطيور ونعمة الاسترخاء.

وباللجوء إلى العديد من الأمثلة التاريخية، يوضح المؤلف أن وظائف السياج والجدران اللاحقة كانت متناقضة ومتغيرة دائما. إنها للحماية من الأعداء الخارجيين، وهي لحجز البعض في السجن، ولخلق ظروف مناسبة لتطوير الحرف اليدوية والفنون والمحافظة عليها في ربقة الحياة المعتادة المستديمة. ولطالما ظلّ التهديد الخارجي حقيقيًا، فإن استخدام الوظيفة الدفاعية والوقائية لجدران القلاع تظل أساسية، ولكن، مع انجلاء الخطر، تظهر الوظيفة الجمالية في المقدمة، مع أن هذه الوظيفة لا تمنع من تحويل القلعة إلى سجن قاس لو تطلب الأمر. يستنتج المؤلف أن التاريخ يقدم لنا خيارين لوظيفة السياج، الأولى كونه جدار حماية، أي لخلق ظروف حقيقية للازدهار الثقافي وتطوير الحرف والفنون والبحوث العلمية وتكوين أشكال جديدة متطورة من المجتمع الاجتماعي والثانية لإنهاء العنف في بعض الحقب التاريخية. وفي مراحل مختلفة من التاريخ تتفوق إحدى هاتين الوظيفتين على الأخرى. تنشأ الحاجة إلى السياج كحام عندما يكون الجيران فقراء وأضعف اقتصادياً وكذلك إذا كانوا محاربين يهددون جيرانهم بغاراتهم وعمليات سطوهم. لقد شكّل الأجنبي والغريب خطراً وتهديداً مباشراً لمجتمع القلعة أو المدينة. يذكر الكاتب ما تم التواطؤ على تفسيره لبناء سور الصين العظيم باعتباره حماية من هجمات البدو الشماليين، كما أقامت الهند جدران مع باكستان وارتفعت في الولايات المتحدة على الحدود مع المكسيك ومؤخراً بنت المجر جدارا بطول ١٥٥ كم وارتفاع ثلاثة أمتار على طول الحدود الصربية.

وبهذه الطريقة، تأمل المجر ودول البلقان في حل مشكلة اللاجئين والمهاجرين غير الشرعيين. حاليًا يتم تسييج ليتوانيا بسرعة وعزلها عن بيلاروسيا. يقول الكاتب: «في القرن الماضي كان الملعب ذو الجدران العالية، المبنيُّ حصريًا لأغراض سلمية أي منع الدخول بدون تذاكر إلى مباراة لكرة القدم أو أي حدث رياضي آخر، يتم تحويله بسهولة إلى معسكر اعتقال في الهواء الطلق، مثال على ذلك الملعب الوطني في تشيلي، والذي أصبح سجنًا لمدة شهرين من ١٢ سبتمبر إلى ٩ نوفمبر ١٩٧٣ وخلال هذه المدّة مرّ به ما بين ٢٠ إلى ٤٠,٠٠٠ شخص» (ص:٤٠).

وتناول أحد فصول الكتاب السياج بمفهومه الأكثر تطوراً وتعقيداً وذلك باعتباره غشاءًا حيوياً يسمح بمرور العناصر الضرورية ومنع ما هو غير مرغوب فيه. يقول الباحث: «إن أساس رفاهية المدينة والمجتمع هو تكثيف العلاقات الثقافية والاقتصادية، ما يعني زيادة عدد التجار الوافدين المحملين بالمواد والسلع. كان يجب إيصال المنتجات المطلوبة وتصدير المنتجات المتوفرة التي يتم إنتاجها في المدينة أي داخل السور. وهنا يشير السياج إلى الملكية والعزم على التشبث بها بالأيدي والنواجذ» (ص:٥٢-٥٣).

تُوصد البوابات في وجه البعض بقدرما تشرع أمام البعض الآخر، مفسحة لهم الطريق بالرحب والسعة. في هذا السياق يبدو أن وظيفة أسوار المدينة لا تقتصر على صدّ الغارات فقط، بل هي إغواء للناس وجذب للمواد والسلع والمنتجات لتمر عبر بواباتها. فسور حول مدينة أو قصر أو حصن لا يمكن تصوره بدون بوابة.

إن السور بهذا المعنى لا يعزل المدينة ويحميها فحسب، بل يفتحها أيضًا ويدعو الناس إلى إقامة الاتصالات كما ويجمع الناس حول شأنٍ مشترك أي التبادل بكل أنواعه. هذه هي بالتحديد وظيفة السياج التي استدل بها التاجر الروسي ورحالة القرون الوسطى أفاناسي نيكيتين الذي قام برحلة إجبارية غير طوعية إلى بلاد الهند وذلك عبورا بقلهات العمانية، وجاء ذكر الرحلة في مذكراته الموسومة «رحلة ما وراء البحار الثلاثة»، يقول الرحالة: «سبع بوابات تؤدي إلى قصر السلطان يجلس عند كل بوابة مئة حارس ومئة كاتب، يسجل البعض من يدخل إلى القصر والآخرون من يغادرونه» (ص:٥٩).

يُورد المؤلف نوعا مهما آخر من البوابات، وهي أقواس النصر التي يتم بناؤها في مكان مختلف لا يتضمن حدود المدينة ولها وظيفة رمزية أكثر تجريداً من البوابات الأخرى. تنطوي هذه البوابات على إشارة ضمنية إلى بوابات المدينة المهزومة. هنا يكمن المعنى الحقيقي لقوس النصر الذي يدل على السيطرة، وهو ما يجعل من أقواس النصر سمة ووسام شرف للعديد من الثقافات. كما أن مرور الأفواج المنتصرة عبر القوس يضاعف من أهمية انتصارها ويثبت حقيقة إرادتها.

لم يسع المؤلف إلا أن يتطرق إلى مسألة العولمة في سياق كتابه. فبقدر ما تنتشر أفكار العولمة التي تهدم الحدود وتدمر جدران الغربة وتؤكد على معايير الحياة بلا أسوار، فإن الاقتناع يزداد أيضاً بأن رفض الأسوار يتطلب بالضرورة سياجًا مشتركًا موثوقًا به لرسم حدود المجتمع والدولة. في الداخل، تتطلب مثل هذه الدولة سياجًا من نوع جديد لُحمته المحرمات والقوانين والأعراف والقواعد الصارمة، التي هي سياج لا يقل قوة عن الخرسانات ولا يمكن اختراقه. إن الرفض الكامل للأسوار ليس سوى مشروع طوباوي، وتدمير الأسوار المادية يتطلب بالضرورة بناء أسوار أخرى غير مادية. وفي الوقت نفسه، فإن: «رغبة الغرب في جعل حياة مواطنيه شفافة وآمنة ومريحة ومزدهرة قدر الإمكان داخل حدودهم تتحول إلى حاجة لبناء جدار جديد يرسم حدود المليار الذهبي ويفصله عن مليارات البشر الآخرين، يفصل الشمال عن الجنوب، وذلك يتعارض مباشرة مع المثل العليا للديمقراطية التي تحضّ على قبول اللاجئين من البلدان الأكثر فقراً وحرماناً» (ص:٥٥).

ويطرح المؤلف صورة تعكس تأثير العولمة والتحولات الحديثة على التجمعات المعزولة كالقبائل المنغولية التي اتخذت في الماضي من السهوب سياجاً لها. اليوم نرى سهوباً صفراء لا يحدّها بصر، فجأة تصادفنا خيمة منغولية وحيدة ولكنها مُسيَّجة. إن العائلات المنغولية التي تعيش في أماكن يصعب الوصول إليها تصبح نقطة جذب للمسافرين والسواح، وبه يتقلص العالم ويصبح صغيرًا، تماماً مثلما بشرت به العولمة، ولكن، بالمقابل، فإن الخيمة التي كانت محمية فيما مضى بالسهوب الشاسعة، أصبحت بحاجة إلى سياج مشيّد يقيها اقتحام المركبات السياحية ويضمن لها السلامة من عبث الطرقات.

وتجسيد آخر للجدار، يطرحه الباحث، والذي يتمثل في جدار شاشة الكمبيوتر أو الهاتف المحمول. يتيح لنا هذا الجدار الذي يحمل الواقع الرقمي، التنقل فيه والتواصل معه ومشاهدة الأفلام ومقاطع الفيديو والتسلية بالألعاب، ولكن الحقيقة الأخرى أن هذا الجدار يسيّج المستخدم في بيته ومكان عمله وفي مركبات النقل وغيرها من الأمكنة الحياتية وسياقاتها. يقول المؤلف: «نظرًا لانتشار الرقمنة في كل مكان وارتباطها بجميع مجالات الحياة فقد أدى ذلك إلى اختزالنا في دائرة الكسل حيث نجد أنفسنا ضمن حضارة رقمية تولّد صورها التفاعلية، وحيث تكون النتيجة التي نتحسسها من الشاشة مبالغا فيها، ولا تغطي سوى جزء صغير من دواخلنا، بينما يظل العالم المحيط بنا في الظل. يتمّ جذب المستخدمين والتمسك بهم بفعل سحر الصورة ، أي بنفس القوة التي يَحتجزُ بها جدارُ السجن السجناء ويصدُّ بها سورُ القلعة غارات العِدى. تحلُّ تقنيات الشاشة الرقمية محل الواقع، ويبدأ الإنسان في التواجد في هذا الواقع الإعلامي ويتحول إلى كائن تواصلي أي إلى «شخص يتم توجيهُ المعلومات إليه فيقوم هو باستخدامها وتخزينها ونشرها، ونتيجة لذلك يفقد أي ميزات ذاتية» (ص:١٠٩).

وقد كُرس أكبر فصول الكتاب للإيكولوجيا المرئية، والتي تعدُّ أحدث اتجاه في العلوم الإنسانية والطبيعية. يتمتع هذا الاتجاه بصرامته في دراسة العلوم الطبيعية بأساليب كمية متطورة لقياس التلوث البيئي، ولكنه مع ذلك يفتقر إلى مفهوم البيئة الثقافية، الذي يلفت الانتباه إلى دور البيئة الفنية والثقافية في حياة الإنسان. لن نجد في هذا الفصل معايير كمية لتقييم حالة البيئة الثقافة، لذلك يلجأ الباحث إلى الحدس والذوق الفني أكثر من المعايير العلمية، كما يعتمد على استعارات من معايير قابلة للقياس لتقييم البيئة الثقافية، وذلك مع اقتباسات من ذاكرة البيئة الثقافية وثقافة العلاقات الإنسانية. يقول المؤلف محذرا: «أحسسنا في القرن العشرين بتأثير سلبي للحرمان البصري، أو بعبارة أخرى، للرتابة البصرية وفقر المرئيات. وكما يؤكد علماء البيئة ونقاد الهندسة المعمارية والباحثون في البيئة الحضرية، فإن نقص الإشارات المرئية ناجم عن الأسطح الرتيبة المستقيمة؛ حيث يؤدي المشي الطويل بمحاذاة جدران صمّاء تفتقر إلى القيمة الفنية إلى حالة من الضياع وشعور بالاضطهاد لدى الإنسان. مثال على ذلك ما يشعر به المستكشفون القطبيون الذين ينتابهم جوع غير عادي مصدره ذلك الفضاء الثلجي الأجرد وفقدانهم للصور المرئية المتجسدة. وليس مصادفة أن يتمّ إشباع المستكشفين عند عودتهم، ليس بالطعام وحده، وإنما بصريا كذلك حيث يعرض لهم من ثلاثة إلى أربعة أفلام» (ص:١١٧).

الكتاب: السياج كـ«توازن» للقوى

المؤلف: فاليري سافتشوك

الناشر: أكاديمية البحث الثقافي، سانت بطرسبورغ، 2022، بالروسية.

عدد الصفحات: 259 صفحة.

* أكاديمية ومستعربة روسية

القراءات المعُاصرة لفينومينولوجيا الروح لهيغل

عمل جماعي

علي الرواحي *

أصبح كتاب فينومينولوجيا الروح (1807م) لفترة طويلة من الكلاسيكيات الفلسفية، وتؤكد الترجمات الإنجليزية الأخيرة له، والقراءات الكثيرة المختلفة لهذا العمل والتي ظهرت في أوقاتٍ متقاربة، الاهتمام الواسع بأول عمل رئيسي منشور للفيلسوف الألماني فريديريك هيغل.ومع ذلك، على الرغم من الأهمية المركزية لهذا العمل عن الأعمال الفلسفية السابقة، تظل الفينومينولوجيا نفسها صعبة للغاية ومثيرة للاهتمام. حتى نظرة سريعة على النص الألماني الأصلي تكفي لإدراك أن القضية لا تتعلق بالترجمة وحدها: فالقراء يجدون أنفسهم في مواجهة خطاب ذي قوة إيحائية لا تضاهى، وتعقيدا كان له تأثير كبير، لا يمكن إنكاره حتى بعد الدراسات المختلفة عن هيغل التي ولدّت ارتباكاً كبيراً لفهم هذا النص.

في الوقت نفسه، وعلى الرغم من التحديات التي تواجه هذه القراءات، فقد أصبح كتاب الفينومينولوجيا على نطاق واسع أول أعمال هيغل التي يعبر فيها بنجاح عن بعض أفكاره الفلسفية الخاصة والتي يستخدم فيها طريقته الاستنتاجية المختلفة، وبالتالي يثبت نفسه متحررا ً من أعماله الأولى، والالتزامات المفاهيمية السابقة تجاه كانط وفيشته، وشلينج. مع كتاب الفينومينولوجيا، جاء هيغل بمفرده، حيث وجد صوتا ً مستقلاً ووضع الأساس للرؤى المقسمة والمنهجية الرئيسية، والتي ستحدد نسقه الموسوعي اللاحق.

فالحجة الأساسية لكتاب الفينومينولوجيا تبدأ بنفس الالتزام الأساسي للتصورات الفلسفية السابقة وذلك بأولوية الأشخاص المحدودين الذين لديهم وعي، والذي دافع عنه أيضا ً كانط وفيشته، غير أن أهمية نتيجة العمل تتمثل في إظهار أن التناقضات الداخلية للوعي تؤدي إلى المقولات الجديدة من (الروح أو العقل Geist)، مما يجعل الوعي هو التمظهر الأساسي «للنحن» كأفراد واعين ومحدودين.

قدم هيغل في الفينومينولوجيا أسلوبه الفلسفي «العلمي» لأول مرة. لقد قام بذلك للإجابة على طلب فيشته الموجه نحو كانط بأن المقولات هي التي تحدد الإدراك وبالتالي فإنَّ تشكل المعرفة الفلسفية حول الوعي يجب استنتاجه من الناحية المفاهيمية بالإشارة إلى البنية المنطقية لوحدة الوعي. وفقا ً لفيشته، ربط كانط بشكل تجريبي مقولاته الفلسفية بالحد الأدنى الأنطولوجي الذي هو وحدته المتعالية في الإدراك، وبالتالي حفز فيشته على محاولة واستنتاج جميع المقولات الفلسفية بشكل صريح مما عرّف بأنه المبدأ الأكثر جوهرية من الناحية الوجودية، أي العلاقة بين الأنا والآخر.

يمتد تأثير العمل إلى ما هو أبعد من دوائر مؤرخي الفلسفة حيث وجد الفلاسفة المعاصرون أنه صندوق كنز (أو صندوق باندورا) للأفكار. وبينما شهد القرن العشرين انخراط المفكرين القاريين في الغالب معه، اكتشف الفلاسفة التحليليون المعاصرون الإمكانات المفاهيمية لهذا العمل في السنوات الأخيرة، وبالتالي غرس حياة جديدة في النص وتوسعت سمعته إلى ما وراء حدود التيارات الفلسفية الضيقة. يتجاوز تأثير الكتاب الفلسفة نفسها: فقد وجدت موجة من التفسيرات الحديثة الواسعة النطاق من تخصصات مختلفة، نفسية وجمالية وتاريخية واجتماعية وسياسية في حجج هذا العمل.حيث تكثر تعليقات المؤلفين الفردية على العمل بأكمله، وكذلك التعليقات المشتركة، بالإضافة إلى العديد من الكتب حول موضوعات أو جوانب أو أجزاء معينة من النص - وهو شيء لا يمكن سرده هنا بكامله؛ فكتاب الفينومينولوجيا يبدو حيا وحاضرا اليوم أكثر من الفترات السابقة.

من أجل تنظيم هذا التأثير، يطرح هذا العمل مجموعة مشتركة من ثلاثة أسئلة تسعى المساهمات المختلفة إلى الإجابة عليها: (١) أي نوع من النص هو فينومينولوجيا الروح؟ (٢) ما هي المساهمات المفاهيمية للاستراتيجيات التأويلية الحالية؟ و(٣) كيف يبرر المفسرون المختلفون حكمهم على ما إذا كان كتاب الفينومينولوجيا لا يزال مشروعا قابلاً للتطبيق؟ في حين أن هذا سيكشف عن وجود بعض أوجه التشابه بين التفسيرات، إلا أنه يجب أن يوضح أيضا ما إذا كانت بعض الأساليب غير متوافقة مع بعضها.مع وضع ذلك في الاعتبار، تناول المساهمون في هذا العمل موضوعات كتاب الفينومينولوجيا التي أثارت المناقشات الأكثر تأثيرا أو التي لم يتم تمثيلها بشكل كاف حتى الآن. من بين هذه النقاط المحورية التالية: (١) وضع الفينومينولوجيا نفسها: هل هي مقدمة ضرورية وواضحة للافتراضات لفلسفة هيغل أم أنها بالفعل الفلسفة نفسها؟ إذا لم يكن كذلك، فهل من الأفضل فهمه على أنه توجه فلسفي أو نفسي أو جمالي (تراجيدي أو كوميدي) أم تاريخي؟ (٢) العلاقة بين مفهومي الروح والوعي: إذا كان الوعي ليس سوى «المظهر» هو الحقيقة، فلماذا يقضي هيغل وقته في تحليل الوعي؟ ماذا يعني بالنسبة لاستقلالية الوعي عندما يقول هيغل إن «الحقيقة يجب أن تظهر»؟ (٣) ديالكتيك السيد والعبد: هل هو تحليل هيغل لكيفية حدوث العلاقات الإنسانية، وما يجب أن تكون عليه؟ هل من الأفضل قراءتها على أنها صراع لا نهاية له أم خطوة حتمية نحو المصالحة؟ (٤) آراء هيغل حول الجماليات: هل جمال الفن متجذر بالضرورة في الحقيقة وهل يجب أن ينقل رسالة أخلاقية مناسبة؟ (٥) مفهوم هيغل عن الموت: هل يستطيع ويجب أن يدافع هيغل عن مفهوم الخلود الشخصي بالنظر إلى مفهومه عن التاريخية؟ (٦) مفهوم هيغل عن الحياة: هل تفسير هيغل للحياة «متمحور حول التمركز المنطقي واللغوي الغربي» وهل يفشل في التقاط الزمنية الجوهرية للوجود البشري؟ (٧) المعرفة المطلقة: لماذا يعود هيغل إلى شعر (شيلر) في نهاية كتاب الفينومينولوجيا، حيث يتوقع منه أن يحدد أعلى شكل ممكن من المعرفة المفاهيمية وما هو الموقف الأعمق تجاه الفلسفة والفن الذي يعنيه هذا الاقتباس؟

يمكن القول إن المساهمات في هذا الكتاب هي بحد ذاتها هيغلية بمعان مختلفة. أولاً وقبل كل شيء، فإن تفاعل العمل مع قراءات هيغل دائما ما يكون مرتبطا بفلسفة هيغل نفسها. وفقا لذلك، لا تبالغ بعض المساهمات في التأكيد على المستوى «الفوقي» التأملي للتحليل وتتأرجح بين نص هيغل ونص مترجميه. ثانيا ، مهمة هذا العمل هي في الأساس مهمة تنظيمية بمعنى أن العمل نفسه، بحكم تعددية وجهات النظر، يعالج عددا كبيرا من القراءات - التي لا تكاد تكون متوافقة أحيانا - والتي بالكاد يمكن أن تتعايش تحت عنوان واحد. وبالتالي، فإنها تتخذ خطوة نحو نوع من الوساطة المتبادلة، والتي هي بالطبع أولية في أحسن الأحوال. كما يمكن اعتبار ممارسة تقديم مثل هذا التنوع بطريقة موحدة بمثابة بادرة تصالحية تأملية: فقد تجاوز المساهمون في هذا الكتاب، على الرغم من ارتباطهم السطحي بمحاولاتهم لفهم كتاب هيغل، حدود مناطقهم المعتادة. فهم قادمون من زوايا معرفية مختلفة ومتداخلة، ناقشوا قراء بارزين من الماضي مثل سيمون دي بوفوار وفرانز فانون وألكسندر كوجيف وهنري مالديني ومارتن هايدجر إلى جانب أولئك الذين يعملون اليوم، مثل روبرت براندوم وريبيكا كوماي وكريستوف هالبيج وستيفن هولغيت وفريدريك جيمسون وجون مكمبر وجون مكدويل ودين موير وجان لوك نانسي وكاترين بال وتيري بينكارد وروبرت بيبين ولودفيج سيب وسلافوي جيجيك.

يوضح سيباستيان شتاين Sebastian Stein في فصله «الحقيقة وظهورها في فينومينولوجيا هيغل: براندوم، بيبين وهولغيت حول الروح والوعي»، كيف انتقد روبرت

بيبين Pippin قراءة روبرت براندوم المتمحورة حول الوعي والبراغماتية للروح/العقل) بسبب اعتماده المزعوم على السياق، والعجز الناتج عن تفسير تطلعات هيغل العالمية: وفقًا لبيبين، لا يمكن لبراغماتية براندوم أن تفسر ادعاء هيغل بأن منهجه الفلسفي، والمعايير الاجتماعية السياسية التي يناقشها عالمية وضرورية. ومع ذلك، بقدر ما ترتكز قراءة بيبين على الوعي المحدود بدلاً من الروح اللامتناهي، فإنها أيضا قد تجعل عالمية ادعاءات هيغل إشكالية.وفقاً لشتاين، فإن إحدى الطرق الممكنة لتجنب هذا هي حجة هيغل بأن الوعي هو خصوصية عالمية للروح بحيث يكون الوعي في الحقيقة هو الروح Geist ، وإن كان محصورا فقط في نمط الظهور. وبالتالي يمكن قراءة فصل الفينومينولوجيا حول «المعرفة المطلقة» على أنه تعريف المعرفة الفلسفية كنوع من المعرفة التي تمتلكها الروح عن نفسها. في المقابل، يبدو تفسير ستيفن هولغيت Houlgate متوافقاً مع مثل هذه القراءة لأنه يجادل بأن ادعاءات الفينومينولوجيا تتم حول الوعي على هذا النحو، والذي يعرفه بأنه شكل من أشكال الوجود أو الفكر الشامل. ومع ذلك، يرفض هولغيت فكرة أن ادعاءات الفينومينولوجيا تمثل الحقيقة الفلسفية الصحيحة.

في الفصل الثاني، يناقش إيوانيس تريسوكاس Ioannis Trisokkas في فصله «هايدجر حول بداية فينومينولوجيا الروح» حجة مارتن هايدجر بأن فلسفة هيغل لها بدايتان: إحداهما ضرورية تبدأ بالفينومينولوجيا والأخرى بعلم المنطق. وفقاً لتريسوكاس، يجادل هايدجر في أن الفينومينولوجيا تتميز بقانون لا يهدأ يبرز الأشكال المقسمة المختلفة الخاصة للوعي والروح. هذا القانون هو «الأساس الذي يؤسسه المنطق». ومع ذلك، فإن القانون لا يرتكز على الشعارات البحتة ولا على تاريخ الوعي البشري. بدلاً من ذلك، يتم تعريفها ببساطة على أنها «حقيقة الوجود» أو «النور الداخلي» للعلم. إن معرفة هذا القانون القائم بذاته هي معرفة مطلقة نوعيا لا تتضمن انتقال العقل إلى الأشياء من أجل التعرف عليها. كل ما يمكن للمرء فعله لفهمها أو التعامل معها هو إظهار «التزام أصلي خاص (ureigene) بالمسألة».

في الفصل الرابع، تقدم تيكسيرا Teixeira «السادة والعبيد ونحن: الجاذبية المستمرة للنضال من أجل الاعتراف»، تعيد ماريانا تيكسيرا النظر في بعض القراءات النموذجية لأكثر المقاطع شهرة في كتاب الفينومينولوجيا - ديالكتيك السيادة والعبودية. حيث تجادل بأن القراءات المؤثرة تؤكد النضال من أجل الاعتراف بالعبد (ألكسندر كوجيف)، وتستخدم ديالكتيك هيغل لفهم المرأة على أنها الآخر المطلق للرجل (سيمون دي بوفوار)، أو مناقشة مفهوم العرق وما يرتبط به من صراعات موجهة نحو الاعتراف بالإشارة إلى نفس الإطار المفاهيمي. في التفسيرين الأخيرين، هناك نقص ملحوظ في التكافؤ بين السيد والعبد، مقارنةً بكوجيف ورؤية هيغل الأصلية، ولكن في نفس الوقت، تظهر كل القراءات على أنها تقرب هذا التفاعل من العرض الهيغلي الأصلي كما فعله كوجيف. وعلى النقيض من ذلك، فإن القراءات التصالحية التي تؤكد على تبادل الاعتراف وتشير إلى أن «النضال الأخير من أجل الاعتراف» الذي يتحدث

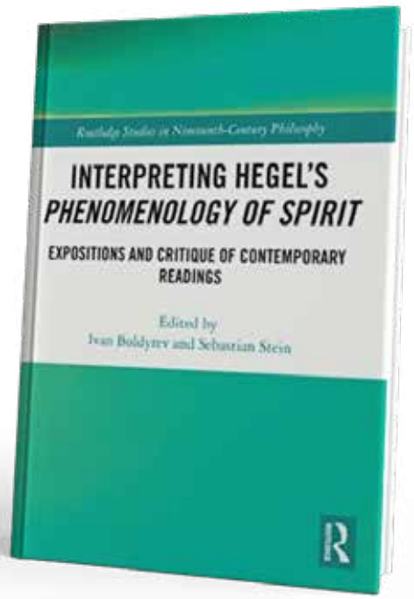

عنه كوجيف لا يتطرق له أبداً في كتاب الفينومينولوجيا. فهم يعتبرون صراع الحياة والموت أحد إخفاقات / أمراض الاعتراف، أو مجرد شكل تطوري غير ناضج للروح. كما تُظهر تيكسيرا أن مفتاح فهم هذه الخلافات يكمن في تعقيد السرد الفلسفي للفينومينولوجيا لأنه يدمج منظور الوعي الذاتي (مع إعطاء وزناً أكبر للقراءات المؤثرة) مع المنظور المؤلف للمعرفة المطلقة (التي من أجلها يكون الاعتراف المتبادل والمصالحة هي السائدة).

في الفصل السادس، يناقش بابلو بولجار مويا Pablo Pulgar Moya في فصله «الوعي الذاتي والاغتراب: استقبال ماركس الشاب لديالكتيك السيد والعبد لهيغل»، الطرق المختلفة التي طبق فيها ماركس جدل السيد - العبد بحسب فهمه لكتاب الفينومينولوجيا على تحليله الخاص للمجتمع البرجوازي ويقارن ذلك مع نهج كوجيف: وفقاً لبولجار، أخذ ماركس المبكر بعض الأدلة من منهج هيغل الفينومينولوجي عندما حدد نظريته المعرفية المادية بينما اعتمد ماركس الأخير عليها كأساس لتحليله المنهجي للواقع الاجتماعي السياسي. يصبح هذا واضحاً بشكل خاص في مناقشات ماركس حول الهيمنة والعمل.على النقيض من كوجيف، الذي يشوه الفينومينولوجيا في محاولاته لتفسيرها نفسياً، يجادل ماركس المتأخر بأن رأس المال يهيمن على العمل بالطريقة التي يسيطر بها السيد على العبد حيث يعمل العبد للسيد وليس لنفسه. وهكذا يعرف رأس المال الطبقات بامتلاك وسائل الإنتاج ويفترض دورا اجتماعيا يسعى لتحقيق مصالحه الخاصة. استجابةً لمعرفتها باستغلالها الخاص، فإن العبد الواعي بذاته يفترض دورا اجتماعيًا لإلغاء العلاقات الاجتماعية لأنها تدرك أن الآخرين ينفرون في ظل هذه الظروف.وهكذا، بينما يتم تجسيد العامل في الرأسمالية عن طريق بيع قوة عمله إلى موضوع أو شخص آخر، فإن هذا الوضع يحتوي أيضا على العناصر الضرورية لإلغاء الوعي الذليل.

في الفصل التاسع «هيغل مقابل الواجبات الذاتية والعقول الخارجية: قراءات حديثة لـ«الأخلاق «و» الضمير» في فينومينولوجيا الروح، يناقش سيباستيان أوستريتش Sebastian Ostritsch توجه الفينومينولوجيا للأخلاق والضمير والدافع الأخلاقي. يعتمد أوستريتش على حساب Halbig للواجبات الذاتية والموضوعية ويجادل ضد Moyar بأن الفينومينولوجيا تدافع عن فكرة الواجبات الأخلاقية الذاتية ولكن الصالحة من الناحية الموضوعية.وبدلاً من ذلك، يؤكد أوستريتش، أن الفينومينولوجيا لا تثبت إلا فشل الواجبات الأخلاقية الذاتية وتعتمد على الدين والتسامح لحل هذه المشكلة. إن مفهوم الواجبات الأخلاقية الحقيقية التي توحد الأبعاد الذاتية والموضوعية يصبح ممكن الحديث عنه فقط مع فلسفة الحق.

في الفصل الثاني عشر «الدين في فينومينولوجيا الروح عند هيغل»، يجادل لي واتكينز Lee Watkins بأنه بينما يعتقد هيغل أن الفلسفة تنقل نفس الحقيقة مثل الدين، لا يمكن للفلسفة أن تكون حية وملموسة إلا إذا كانت مستوحاة من صور الدين وطقوسه وطوائفه: «بدون عيش تعاليم الدين كأساس للفلسفة، تصبح الفلسفة مجرد تجريد فارغ. لن يكون هذا صحيحا أبدا لأي شخص لأنه لا يلبي حاجة الفرد التي يشعر بها بشدة للمصالحة الجدلية مع العالم». يعتمد واتكينز على لودفيج سيب Ludwig Siep لتوضيح فكرة هيغل عن الدين ويتعامل مع تيري بينكارد وستيفن هولغيت للتحقيق بأي معنى يمكن تسمية هيغل بمفكر ديني.ثم اعتمد على تفسير بوربيدج لشرح تراجع تأثير المسيحية والإجابة على سؤال كيف يمكن للمرء أن يبدأ في البحث عن الدين في العالم اليوم.

وهكذا تختلف المناهج المتنوعة لتأويل كتاب الفينومينولوجيا اختلافاً كبيرا فيما يتعلق بافتراضاتها الفلسفية واستراتيجياتها البحثية ووجهات النظر العامة حول النص. في الوقت نفسه، يتجنب العديد من المعلقين على العمل المشاركة المكثفة مع جهود المترجمين المباشرين الآخرين. حتى بين خبراء هيغل، فإن هذا يستلزم نقصا في النظرة العامة والتوجيه عند التعامل مع مثل هذا العدد الكبير من التفسيرات المتاحة. حيث يتفاعل هذا المجلد مع هذه الحقيقة من خلال تقديم لمحة عامة عن العديد من التفسيرات الأكثر تأثيرًا لهذا الكتاب ونقاط قوتها وعيوبها النسبية، بهدف مساعدة أولئك الذين يبحثون عن التوجيه في زحمة القراءات. ولهذه الغاية، تلخص مساهمات المجموعة، وتضع سياقها وتعلق بشكل نقدي على القضايا والتيارات المُعاصرة لقراءة هذا العمل.

الكتاب: القراءات المعاصرة لفينومينولوجيا الروح لهيغل.

المؤلف: عمل جماعي.

الناشر: روتليدج Routledge .Taylor & Francis, 2021.

عدد الصفحات: 285

لغة الكتاب: الإنجليزية

* كاتب عُماني

التعليم الجديد: كيف تُحدث ثورة في الجامعة لإعداد الطلاب لعالم في حالة تغير مستمر

كاثي إن ديفيدسون

حامد عبد الرحيم عيد *

مؤلفة الكتاب هي كاثي إن ديفيدسون، Cathy N. Davidson باحثة أكاديمية بارزة في تاريخ التكنولوجيا، ومن أشد المؤيدين لطرق التعلم النشطة التي تساعد الطلاب على الفهم والتنقل في العالم العالمي المتغير جذريًا الذي نعيش فيه جميعًا ونعمل ونتعلم من خلاله، وهي أستاذة متميزة في اللغة الإنجليزية وصاحبة مبادرة المستقبل في مركز الدراسات العليا، جامعة مدينة نيويورك، كما أنها المدير المشارك لتحالف العلوم الإنسانية والفنون والعلوم والتكنولوجيا والتعاون. وهي تناصر الأفكار والأساليب الجديدة للتعلم والتطوير المهني في المدرسة وفي مكان العمل وفي الحياة اليومية.

يأتي كتاب كاثي إن ديفيدسون،«التعليم الجديد: كيف تُحدث ثورة في الجامعة لإعداد الطلاب لعالم في حالة تغير مُستمر» ليمثل صرخة عالية لجموع الشباب ورسالة تفتح لهم أبوابا جديدة من الفكر والاجتهاد والتفكر فى مستقبلهم فى ظل ظروف دولية متقلبة وليست مضمونة..! فنحن نعيش في فترة اضطرابات كبيرة - ومع ذلك لم يكن هناك تغيير مماثل في نظام التعليم العالي. وفي هذا الكتاب تجادل كاثي إن ديفيدسون بأننا بحاجة إلى نظرية جديدة وممارسة للتعلم تؤكد على الإنجاز ليس كنتيجة في الاختبار ولكن كقدرة على التنقل في سوق العمل - والعالم - في حالة تغير مستمر. تقدم ديفيدسون دروسًا لإعادة صياغة التعليم العالي لوقتنا، لكل مؤسسات التعليم، حيث تتناول فوائد وتحديات التعلم عن بعد وتقدم نصائح عملية حول كيفية تغيير المؤسسات. يعد التعليم الجديد قراءة أساسية للمعلمين وأولياء الأمور والطلاب. وتوضح ديفيدسون ببراعة كيف يمكننا تعليم الطلاب ليس فقط البقاء على قيد الحياة ولكن للازدهار في اقتصاد القرن الحادي والعشرين.

وفى رمزية مفرطة تبدأ ديفيسون كتابها بالقول إن في كل أسطورة، هناك باب، بوابة، نهر، سلم، جبل، ممر. كما أن هناك عتبة، فإذا ما كنت البطل، فستتطلب رحلتك العبور: وعليك الوصول إلى الجانب الآخر. ستواجه بعقبات منها الوديان والمنحدرات وقطاع الطرق والجوع والإغراءات والجبن واليأس. بجانب هذا ستجد هناك أدلة على طول الطريق، بعضها حكيم والبعض الآخر ليس كذلك. كيف تستطيع أن تقول ذلك؟ إنه أمر جد معقد. قديما يمكن أن تقابل التنين..! واليوم وفي الحياة الحديثة فإن العتبة التي تلوح في الأفق الأكبر لكل الشباب هي سن الرشد. في يوم من الأيام، تكون المسؤولية القانونية لأحد الوالدين أو الوصي، وفي اليوم التالي تكون أنت مسؤولاً عن اتخاذ طريقك الخاص، والسير على حافة الحياة. وعندما يبلغ عمرك ١٧ عامًا و٣٦٤ يومًا، يمكن لأهلك إخبارك بما يجب عليك فعله. ولكن عندما تستيقظ في صباح اليوم التالي، ستبلغ ١٨ عامًا، فستكون عبرت، وعواقب هذا العبور عميقة جدًا لدرجة أنها تخضع للنقاش باستمرار. كم يجب أن يكون عمرك لتقود سيارة؟ وأن تحاكم؟ وأن تذهب إلى الحرب؟ وللتصويت؟ أحيانًا تكون الثامنة عشرة، وأحيانًا الحادية والعشرين، كما أن هناك جدلا حول أي عمر أكثر عدلاً للشباب لك ولمجتمعك أيضا. تمثل طقوس العبور الخاصة بك جميع قضايا الحياة والموت التي نُكافح معها معًا، نتجادل حول متى تنتهي الطفولة، ومتى تبدأ مسؤولية الكبار، ومتى يجب تمرير الشعلة. رحلتك هي رحلتنا. مستقبلك لنا. كيف تكون مستعدًّا للانضمام وربما قيادة مجتمع أو جيل أو عالم، أمر مهم لأولئك الذين سبقوك والذين سيأتون بعدك. العواقب لها وزن وثقل، الرحلة، والخطر والوعود. أنت تتجاوز التعريف من قبل الآخرين إلى تعريف الذات، ومن الاعتماد على الآخرين إلى الاستقلال القانوني. أنت تنتقل من سيطرة الآخرين إلى ضبط النفس، ومن الأفكار التي شكلها الآخرون إلى أفكارك الخاصة، ومن الآراء التى تتلقاها إلى قدرتك على تحديد المكان الذي تتجه إليه بعد ذلك، التمييز، والتقييم، وإصدار الأحكام، ثم التصرف. إنها بحق لحظة مصيرية..!

إن هذا الكتاب مخصص للجميع، لكل الطلاب الذين هم في طريقهم إلى الجامعة، يتساءلون عما إذا كان الأمر يستحق ذلك، في محاولة لمعرفة كيفية الحصول على أفضل تعليم ممكن. إنه أيضًا للخريجين الجدد، جيل الألفية الذين تعرضوا للضرر والذين مروا بالجامعة في السنوات الخمس عشرة الماضية. ونعتقد أنهم حصلوا على صفقة فاشلة. لماذا؟ لأن التعليم الذي تلقوه تم تطويره في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بغرض تدريب المزارعين وأصحاب المتاجر ليكونوا عمال مصنع ومديري مكاتب. في ذروة التغييرات الجسيمة في الحياة والعمل والمجتمع مدفوعة بالتصنيع والتحضر المصاحب. مرت كليات النخبة بإعادة تصميم واسعة النطاق، حيث ابتعدت عن مهمتها التأسيسية لتدريب الوزراء نحو اختيار وإعداد واعتماد الوزراء. قادة المستقبل للمهن الجديدة والمؤسسات الجديدة والشركات الجديدة. مثل هذا التدريب الإلزامي والمتخصص كان ناجحًا في معظم القرن العشرين.

ولكن هذا ليس منطقيًا كثيرًا بالنسبة لعالم ما بعد الصناعة وما بعد الإنترنت، حيث باتت الحدود بين العمل والمنزل أقل تمايزًا، والعمل نفسه بات أكثر خطورة، والأجور راكدة إلى حد كبير، والأتمتة آخذة في التوسع وتصبح مؤسسات ديمقراطية فاشلة، وهناك المهن تختفي، والصدمة التالية للاقتصاد تلوح في الأفق، حتى لو لم نتمكن من رؤيتها بعد. هنا تساعد مؤسسات التعليم العالي الشباب على تغيير أنفسهم، كما فعلوا دائمًا، ومساعدتهم على الانتقال من التبعية إلى الاستقلال، من الطفولة إلى مرحلة البلوغ. فالجامعة جيدة في ذلك. ومع ذلك، لم تعد جيدة في تجهيز الخريجين للنجاح في عالم أكثر تعقيدًا وحيرة من أي وقت مضى. الناس الذين يقولون «التعليم العالي لم يتغير منذ أكاديمية سقراط قبل ألفي عام» يخطئون.

يبلغ عمر الجامعة الأمريكية الحديثة حوالي ١٥٠ عامًا فقط. في الأساس، تم تطوير البنية التحتية والمناهج وطرق التقييم التي وضعناها الآن بين عامي ١٨٦٠ و١٩٢٥. قام كادر طموح من المعلمين بقيادة تشارلز إليوت، الرئيس الشاب النشط والمتطلع إلى الأمام لجامعة هارفارد في أواخر القرن التاسع عشر، بإعادة تصميم الكلية البروتستانتية من أجل عصر يتكشف من التصنيع والتحضر يتطلب مديرين وليس وزراء. بدأ إليوت وأقرانه من أكثر المؤسسات تميزًا في البلاد في تحديث الجامعة بكل الطرق. لدعم سوق عمل متمايز حديثًا، حددوا التخصصات الأكاديمية، وتحصين وفصل الأقسام والتخصصات، وقاموا بتنظيم المناهج الدراسية وصولاً إلى الساعات المعتمدة والتعليم العام المنفصل والفنون الحرة من المؤسسات البحثية الجديدة والمتخصصة والمرموقة في كليات الدراسات العليا والمدارس المهنية المصممة للمصادقة على خبرة فئة إدارية مهنية ناشئة. أسسوا هيئات التصنيف والاعتماد التي نظّمت قيمها وكرّستها. حتى بدون نظام موحد للتعليم العالي، تم تصنيف كل مؤسسة (صراحة وضمنية) ضد الآخرين. تم الحكم على كليات الفنون الحرة الأصغر والجامعات العامة المنتشرة وفقًا للمعايير التي وضعتها أكثر المؤسسات النخبة والأكثر تمويلًا في البلاد. كما

طور المربون في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين القياسات التربوية التي نستخدمها اليوم. كانت الدرجات، والإحصاءات، والانحراف المعياري، والانحدار من المتوسط ، ومنحنيات الجرس، واختبارات الذكاء، وامتحانات القبول، واختبارات الاختيار من متعدد والمحددة بوقت والموحدة، كلها طرقًا جديدة لتقييم المدخلات والمخرجات الأكاديمية، وتمييز أنواع الذكاء، والكفاءة، و وتقدير الإنجاز وما هي الأنواع.

استوحت ثورة التعليم العالي جزئيًا من مُنظّري الإدارة في ذلك الوقت الذين كانوا يقيسون إنتاجية المصانع التي تصهر الحديد الخام وخطوط التجميع التي تحولت إلى نموذج . كل ميزات التعليم العالي تم إضافتها إلى الجامعة الموجودة اليوم. ومع ذلك، فقد كان جيلًا كاملاً منذ ٢٢ أبريل ١٩٩٣، عندما ولد عالم جديد. هذا هو اليوم الذي أعلن فيه العلماء في المركز الوطني لتطبيقات الحوسبة الفائقة أن متصفح الويب Mosaic ١,٠ أصبح متاحًا للجمهور. كان هناك أقل من عشرين موقعًا في ذلك الوقت؛ وبحلول نهاية العام، كان هناك أكثر من عشرة آلاف، وزاد استخدام الإنترنت في ذلك العام وحده بأكثر من ٢٠٠٠ بالمائة. بين عشية وضحاها، كان يمكن لأي شخص لديه اتصال بالإنترنت توصيل أي شيء لأي شخص آخر في العالم لديه اتصال بالإنترنت. هذا إنجاز لا يمكن تصوره تقريبًا لمدى وصول الإنسان. كما كان عصر التصنيع، تميز عصر الإنترنت بتغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية معقدة وبعيدة المدى لم تحدث بواسطة القوة البخارية وميكنة خطوط التجميع ولكن عن طريق الرقمنة وإعادة التوزيع العالمي للأفكار ورأس المال والقائمة على الخوارزميات السلع والعمالة والخدمات. لقد غيرت الحوسبة الشبكية الحديثة الحياة اليومية والعمل، وتتسارع هذه التغييرات كل عام. حتى أفكارنا حول ما يعنيه أن تكون إنسانًا واجتماعيًا - «الذات» و«المجتمع» - لا تشمل الروابط الوثيقة للأشخاص الذين لا يلتقون جسديًا أبدًا، والذين يمكنهم التفاعل افتراضيًا - كأصدقاء أو عشاق أو متصيدين. لم تكن مجرد تقنية جديدة ولكنها طريقة جديدة للوجود غيرت العالم. ومع ذلك، بالنسبة للطلاب، أولئك الذين ولدوا بعد عام ١٩٩٣، من الصعب عليهم إدراكًا أن يفهموا ما حدث قبل هذا العصر التكنولوجي.

ماذا يعني إعادة تصميم التعليم العالي لرحلات الفضاء الفكرية التي يحتاجها الطلاب للازدهار في العالم الذي نعيش فيه الآن؟ ما الذي يعنيه إعادة توجيه النماذج التعليمية التي تعمل بشكل مفرط على توحيد واختبار وتشخيص (من الإعاقة إلى الموهبة وجميع النقاط بينهما)، ما الذي يتطلبه الأمر لتعليم الطلاب الذين لا يعرفون كيف أن التكنولوجيا الجديدة غيرت كل شيء، هذا هو التحدي، وكم يبدو شاقًا. التاريخ صديقنا هنا، لأن الصعوبات التي نواجهها في إعادة تشكيل التعليم العالي الآن ليست أكبر من تلك التي واجهها إليوت وأقرانه منذ أكثر من قرن بقليل عندما صمموا جامعة الأبحاث الأمريكية الحديثة. كتب تشارلز إليوت عن «التعليم الجديد»، وهو نقد مثير لأشكال التعليم العالي الحالية في أمريكا وبيانًا لثورة التعليم العالي التي سيواصل

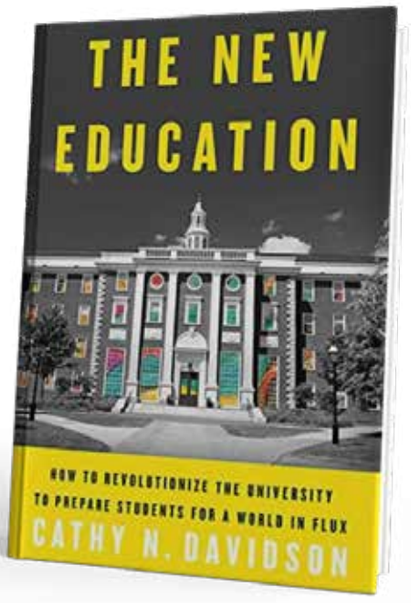

قيادتها في فترة حكمه التي استمرت أربعين عامًا كرئيس لجامعة هارفارد. نُشر مقال إليوت في جزأين في مجلة The Atlantic Monthly، بدأه بالسؤال الاستفزازي الذي طرحه أب يفكر في تعليم ابنه العالي: «ماذا يمكنني أن أفعل مع ابني؟» يقول الأب إن ابنه ليس منقطعًا عن الوظائف التي أعدت كليات النخبة الطلاب لها، أي أن يكون «واعظًا أو رجلًا متعلمًا». يعترف إليوت بأن هذه الكليات قد عفا عليها الزمن. يكتب، «هذه حاجة حقيقية ومشكلة خطيرة»، لقد كتب هذه المقالة بعد سنوات قليلة من الحرب الأهلية وبعد سلسلة من الكوارث المالية التي تركت المستقبل موضع تساؤل. «الشعب الأمريكي يحارب البرية، المادية والمعنوية، من ناحية، ومن ناحية أخرى يكافح من أجل حل المشكلة المروعة المتمثلة في الحكم الذاتي. من أجل هذه المعركة يجب تدريبهم وتسليحهم «. ثم يصف رؤيته لإحداث ثورة في الجامعة لإعداد الطلاب للمهن مع تثقيفهم بعمق كافٍ لتولي أدوار مهمة في ديمقراطية هشة. نجح إليوت وزملاؤه في تحقيق هذه الرؤية.

واليوم نجد أنفسنا عند نقطة تحول مماثلة. لقد تغير المجتمع بشكل كبير منذ أيام إليوت، وخاصة في العشرين عامًا الماضية أو نحو ذلك، لدرجة أننا بحاجة إلى «تعليم جديد» لوقتنا هذا. فمؤسساتنا القديمة لا تقوم بإعداد الطلاب للعالم خارج الأكاديمية، وهناك حاجة ماسة لتعليم نشط، يسمى بالحكم الذاتي المستنير. يتطلب هذا إعادة تصميم التعليم العالي بشكل منهجي، من الفصل الدراسي إلى الإدارة، ومن أساسيات كيفية التدريس والتعلم إلى كيفية قياس النتائج والامتحانات، فالطلاب اليوم يحتاجون إلى ما يسمى بالمهارات الناعمة، بما في ذلك الاستراتيجيات والتكتيكات لتحقيق النجاح والتواصل والتعاون من أجل الإبحار في عالم متغير، صاخب ومستمر، فلا يمكنهم الاعتماد على الاستمرار لأي فترة من الوقت في الوظيفة أو حتى المجال الذي تم تدريبهم فيه في الأصل. يجب تشجيع الطلاب لإنشاء معرفة جديدة من المعلومات حولهم واستخدامها لتقديم مساهمة عامة أو مهنية أو تجريبية يكون لها تأثير خارج الفصل الدراسي. لا يجب أن يتقن الطلاب فقط ما يقوله الخبير لهم، ولكن يجب أن يتعلموا أيضًا كيف يصبحون خبراء. وهذا يتطلب إعادة تصميم التعليم العالي وإعادة الهيكلة المؤسسية وإحداث ثورة في كل فصل دراسي ومناهج وأنظمة للتقييم. يعني فحص التعلم بطرق جادة ومدروسة، بحيث يتحمل الطلاب مسؤولية ما يعرفونه وكيف يعرفون، وكيف يتعاونون، وكيف يستجيبون للتعليقات، وكيف ينمون، يعلمهم كيف يفهمون ويقودون بشكل منتج. فلن يصبح من السهل تحويل الجامعة من الداخل؛ فالعديد من الأكاديميين تقليديون والعديد من المؤسسات تبجل تقاليدها وتكافأ عليها. غالبًا ما يرفضون الابتكار لمجرد أنه يمثل خروجًا عن كيفية إنجاز الأشياء. ربما يوافقون أيضًا على فكرة أن التعليم العالي لم يتغير منذ عهد سقراط ولا يدركون مدى ابتكار ما يعتقدون أنه تقليدي للحظة تاريخية خاصة جدًا لم تعد موجودة. إن حركة تكنولوجيا التعليم، التي غالبًا ما يقودها رجال الأعمال الذين يناضلون من أجل «تحديث» التعليم العالي ويدافعون عن «نهاية الجامعة»، مع استبدال الأساتذة والفصول الدراسية بأشكال جديدة من التكنولوجيا. سواء كان ذلك من خلال إحساس مضلل لما يشكل الإعداد الصحيح لسوق عمل غير مستقر، أو فهم غير كاف لما يمكن أن تفعله التكنولوجيا وما لا يمكنها فعله، حيث يتجاهل العديد من المبتكرين المفترضين كيف يحدث التعلم بالفعل. فإلقاء أجهزة iPad في الفصول الدراسية التقليدية دون تغيير أساليب التدريس أو التقييم ووضع دورات المحاضرات التقليدية عبر الإنترنت وتصنيفها من خلال أنظمة اختبار اختيارات متعددة مؤتمتة تؤدي ببساطة إلى رقمنة افتراضات القرن التاسع عشر حول التعلم الموحد والتخصص الضيق والتدريس السلبي.

إن تعلم كيفية التعلم يجهز الطلاب ليصبحوا باحثين مستقلين يمكنهم استخدام مجموعة من الأساليب الإبداعية والحاسمة والحاسوبية لحل المشكلات، أينما واجهتهم. الهدف من التعليم العالي هو أكبر من استعداد القوى العاملة. إنه الاستعداد العالمي. لا توجد خارطة طريق توضح ما ينتظرنا في المستقبل بعد الجامعة، حيث لا يوجد المزيد من الدرجات والمتطلبات والأطروحات والأساتذة والمستشارين. هنا يكون التنين. يعد التعليم الجديد الطلاب لرحلة حيث يمكن أن يحدث أي شيء، والرحلة التي على وشك أن تبدأ.

الكتاب: التعليم الجديد، كيف تُحدث ثورة في الجامعة لإعداد الطلاب لعالم في حالة تغير مستمر...!

المؤلف: كاثي إن ديفيدسون

سنة النشر: 2022

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات:279

* أستاذ بجامعة القاهرة، مصر

أولى دروس وتحدّيات جائحة كورونا لبلدان منطقة التكامل لأمريكا الوسطى (سيكا)

لـ: ألبيرتو إنريكيث وكارلوس سانتشيس

كلثوم بوطالب *

يقدم هذا البحث العلمي الذي جاء تحت عنوان «أولى دروس وتحدّيات جائحة كورونا لبلدان منطقة التكامل لأمريكا الوسطى (سيكا)» دراسة استكشافية للعبر والدروس المستفادة من إدارة الأزمة الناتجة عن وباء كورونا في دول SICA (منطقة التكامل لأمريكا الوسطى) والإدارات العامة لبلدان المنطقة الفرعية لنظام تكامل أمريكا الوسطى؛ أي أنها تشمل المجال الجغرافي الذي يضم مملكة بليز وكوستاريكا والسالفادور وكواتيمالا وهوندوراس ونيكاراكوا وباناما وجمهورية الدومينيك، بالإضافة إلى التحديات التي تطرحها جائحة كورونا والأوبئة الأخرى في المستقبل، مع التركيز على ثلاثة محاور رئيسية للإدارة العامة؛ وهي: أولاً: التخطيط، ثانياً: الحكومة الرقمية، وثالثاً: الحكامة.

يعد هذا العمل أول دراسة تنجز في هذا السياق، فهي دراسة أولية واستكشافية؛ ويمكن القول إنها دراسة تأسيسية في هذا المجال. ورغم جدَّة الموضوع إلا أن مقاربتها للدولة ودور الحكامة والتخطيط والحكومة الرقمية في ظل إدارة الأزمة الناجمة عن فيروس كورونا تُعدُّ دليلاً كافياً على هشاشة التدبير والتخطيط وعلاقته المباشرة بوضعية الديمقراطية ونموذج الدولة الذي تشترك فيه بلدان المنطقة. وعلى هذا الأساس، يتمّ تحديد الدروس الهامّة التي تسمح بتفكيك التحديات القصيرة والطويلة الأمد التي يجب على الإدارات العامة مواجهتها مستقبلا.

عمل الكاتبان ألبيرتو إنريكيث و كارلوس سانتشيس على توضيح الجهود التي تبذلها اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ومنطقة بحر الكاريبي، حيث دأبت اللجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ومنطقة بحر الكاريبي منذ بداية الأزمة على رصدها بصرامة للفيروس، وتحليل آثاره وتأثيراته في المنطقة، وجمع التجارب والدروس المستفادة منه، مما يسمح بتصميم أفضل للأجوبة المقنعة حول ماهية هذا الفيروس وتحويلها إلى فرصة جديدة للتقدّم نحو نموذج التنمية المستدامة والشاملة.

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو إجراء أول تقريب للتحديات والتجارب والدروس التي واجهتها المنطقة، وذلك من أجل إدارة الأزمة الناتجة عن جائحة كوفيد في البلدان والإدارات العامّة التي تتكون منها المنطقة الفرعية لنظام التكامل لأمريكا الوسطى (SICA). ولا يتعلق الأمر هنا بتحليل شامل أو تقييم للإجراءات المختلفة التي طورتها الحكومات للتعامل مع الأزمة، بقدر ما يتعلّق بعرضها ووضعها في الإطار العالمي للجائحة، وتوضيح نوع الإجراءات التي تم اتخاذها في احترام ومراعاة تامّة لأوضاع الدول وظروفها. ويبدو أن المؤلفين قد ركزا في دراستهما هذه على ثلاثة محاور أساسية: ١) التخطيط ٢) الحكومة الرقمية و٣) الحكامة مع تحديد الدروس والتحديات الرئيسية بشكل مبدئي.

من المهم الإشارة إلى أنه كجزء من المنهجية التي عمل بها الكاتبان في هذا الكتاب، قاما بالاطلاع على الوثائق الرسمية وقواعد البيانات المتخصّصة والمشاورات والمقابلات المختلفة مع الخبراء من مختلف بلدان المنطقة دون الإقليمية؛ ومما لا شك فيه أن هذا الاطلاع على الوثائق والمصادر العلمية قد أثرى التحليل ونتائج التحقيق، فقد اعتمد الكاتبان في هذه الدراسة تقديم معطيات مدعومة بجداول وإحصائيات وبيانات ومنحنيات مقدمة بشكل علمي دقيق.

توزعت صفحات هذا الكتاب على قسمين طويلين، يلخّص القسم الأول (ويضم الفصول الأول والثاني والثالث) طبيعة ونطاق الأزمة التي خيمت على هذا الكوكب، وظروف منطقة نظام التكامل لأمريكا الوسطى SICA دون الإقليمية عند انتشار جائحة كوفيد، والتدابير والإجراءات الرئيسية التي اتخذتها الحكومات في الأشهر الستة الأولى من أجل معالجة الأزمة الصحية العميقة التي أصابت دول العالم، وعلى هذا الأساس، تحولت أنظار بقية العالم، في المنطقة دون الإقليمية وجميع الجهات الفاعلة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، نحو الدولة التي تنتظر تحليلاتها ومبادئها التوجيهية. أمّا في القسم الثاني (في الفصلين الرابع والخامس) فقد ناقش الكاتبان المحاور الثلاثة الرئيسية للإدارة العامة (التخطيط والحكومة الرقمية والحكامة).

يستهل الكاتبان الفصل الأول بدراسة تأثير الجائحة والأزمة على الصعيد العالمي ويلاحظان أنّ تأثير فيروس كورونا بدأ في الأصل باعتباره أزمة صحية، لكنه لم يقتصر فقط على مجال الصحة، بل تجاوز كل أبعاد الحياة الاجتماعية والتنموية على الصعيد العالمي وتسبب في أضرار اقتصادية وسياسية جسيمة. وقد شُلّت الاقتصادات في جميع أنحاء العالم بسبب جائحة كورونا، ودخلت المجتمعات في حجر صحي أكثر أو أقل شدة لفترة طويلة.

ويصف مؤلفا هذا الكتاب التدابير التي اتخذتها الحكومات بأنها قابلة للمقارنة مع تلك التي تُتَّخذ في حالات الحرب. اتخذت الحكومات سياسات وتدابير مثل التباعد الاجتماعي، وإن كان الحجر الصحي يعني وبشكل مباشر تخفيضًا بل وحتى تعليقًا تامًا لأنشطة الإنتاج والاستهلاك لفترات غير مؤكدة، مما يؤدي بدوره إلى انهيار الأسواق وإغلاق الشركات وإغلاق الحدود، فترتفع نسبة البطالة. من ناحية أخرى، تشير تقديرات منظمة العمل الدولية (٢٠٢٠) إلى زيادة في البطالة العالمية بين ٥,٣ و٢٤,٧ مليون شخص، مع قاعدة١٨٨ مليون عاطل عن العمل عام ٢٠١٩؛ فقد تعطلت جميع أوجه الحياة: الدراسة والعمل والصحة والاقتصاد.

وخصّص الكاتبان الفصل الثاني لدراسة حالة البلدان الثمانية التي يتألف منها نظام التكامل لأمريكا الوسطى المنطقة الفرعية المتنوعة في تكوينها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والبيئي، والتي تشكل اتصالا طبيعيا بين أمريكا الشمالية والجنوبية. تطورت الجائحة وآثارها في المنطقة دون الإقليمية، فقد تأثرت هذه الدول بتداعيات الجائحة كسائر دول العالم. خلف الحجر المنزلي والتباعد والقيود المفروضة على تنقل الأشخاص والصعوبات التي تواجههم تأثيرا على التبادل التجاري الداخلي والخارجي وإلى إحداث تأثيرات فورية على ديناميكيات الشركات، وكذلك على مستوى الدخل والاستقرار في العمل.

ويؤكد الكاتبان على دور الحكومة وأهمية سياستها في تدبير الجائحة، فمن بين الجوانب الرئيسية للحكامة والإدارة العامة: الحوار والتفاوض والبحث عن اتفاقيات بين الجهات الحكومية (خاصة بين المستوى التنفيذي والتشريعي)، والتفاعل بين السياسة العامة والأوساط العلمية الأكاديمية، حيث كانت الاستجابات العامة ومشاركة المواطنين وإيصال المعلومة تكتسي أهمية كبيرة في سياق الجائحة وآثارها.

يقدم الكاتبان في الفصل الثالث مقاربة للتدابير الرئيسية التي اتخذتها حكومات المنطقة دون الإقليمية لمواجهة الجائحة. ولابد من الإشارة إلى أن مصادر المعلومات في هذا الفصل مأخوذة من البيانات المتاحة في مرصد COVID-19 في أمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، التابع للجنة الاقتصادية لأمريكا اللاتينية ومنطقة البحر الكاريبي، اعتبارًا من ١٨ أغسطس لعام ٢٠٢٠ والتقارير التي قدمتها SICA منذ انتشار الوباء.

من بين أولى قرارات الحكومات خلق الظروف القانونية

والمؤسسية، مما يسمح لهم بالتقدم والتصرف بسرعة. وباستثناء نيكاراغوا، وضعت الحكومات المختلفة حالات الطوارئ الوطنية أو الكوارث العامة في بلادهم في الأقاليم المعنية. أما على المستوى الصحي ونظرًا لاستحالة وقف تقدم الوباء، فقد تم السعي أولاً إلى محاولة إبطاء معدل العدوى قدر الإمكان، وثانيًا، وضع أنظمة صحية قادرة على معالجة الحالات المستعصية.

كما نوّه الكاتبان بالتدابير المتّخذة وخاصة بتدبيري تعليق الدراسة في المؤسسات العامة والخاصة في جميع البلدان -باستثناء نيكاراغوا -والتعليق التام أو الجزئي للأنشطة الاقتصادية. وفي سياق التدابير المتخذة، يذكر الكاتبان تلك المتعلقة بالابتكار؛ حيث تتفوق كوستاريكا في هذا المجال، فقد سعت إلى تكييف البروتوكولات لاستبدال أجزاء أو مراحل المجموعات التجارية المستخدمة فيها المعامل الرسمية كي لا تعتمد على السوق الدولية، ويتكون فريق العمل في كوستاريكا من خبراء في علم الأحياء الجزيئي وعلم وظائف الأعضاء وعلم الفيروسات وعلم الأحياء الدقيقة وعلم الوراثة والتكنولوجيا الحيوية.

ويبدو أن الكاتبين لامسا في دراستهما موضوعا في غاية الأهمية وهو العنف المنزلي الذي تفجر جراء الحجر الصحي (ضد النساء-ضد الرجال-ضد الأطفال)، وذكر الكاتبان في هذا السياق، أن البلدان السبعة في المنطقة عززت تدابير تهدف إلى منع العنف القائم على النوع الاجتماعي خاصّة ضد النساء. وليس هناك شك في أن تداعيات الأزمة الناتجة عن كورونا أحدثت تأثيرات طالت المرأة في جميع أبعاد التنمية وعمّقت التفاوتات القائمة بين الجنسين، داخل الأسرة وخارجها، وفي المستشفيات والمراكز الصحية، وفي العمل وكذلك في السياسة. وأشارت لجنة البلدان الأمريكية للمرأة (CIM وOAS، ٢٠٢٠)، إلى أنّ «التحدي المتمثل في الحكومات والمنظمات الدولية لتوجيه السياسات التي تسعى إلى المساواة في التخفيف من هذه الأزمة والتعافي منها، قد يفتح الفرصة لأن تكون هذه الأمور مناسبة وفعالة، إلى الحد الذي تستجيب فيه لاحتياجات السكان ككل، بما في ذلك النساء. المنطقة لديها فرصة لاتفاقيات جديدة، وتحالفات جديدة ووجهات نظر جديدة للتعويض عن الثوابت التي تتطور مع نموذج المساواة».

لقد وضعت تلبية الاحتياجات المتعددة التي تولدت من جراء الأزمة التي سببها الوباء قدرات الحكومات على التخطيط على المحك. ولهذا انتقل الكاتبان في الفصل الموالي إلى تحليل أنظمة التخطيط في بلدان منطقة SICA دون الإقليمية، في كل بلد على حدة (غواتيمالا، سالفادور، الهندوراس، نيكاراكوا، كوستاريكا، بناما، جمهورية دومينكان)، ويفصل الكاتبان التخطيط المعتمد لاحتواء الأزمة والذي يشمل القطاعات الآتية: القطاع الصحي، والتعليم، والصحة، والحماية الاجتماعية، بالإضافة إلى وضع خطط لإعادة الفتح وعودة الحياة تدريجيا. ويقدم الكاتبان في هذا الجزء مساراً وتحليلاً أوليين للإجراءات والوسائل التي صممت واستخدمت للتصدي للوباء؛ باعتبار أن هذه الدراسة هي الأولى من نوعها في هذا السياق.

وقد عرفت هذه البلدان -كغيرها استخدام الأنترنت في زمن الجائحة- مستويات مختلفة من التقدم في عمليات التحول الرقمي واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في الإدارة

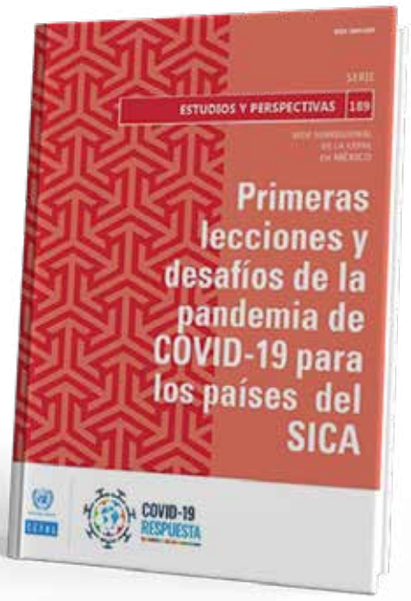

والسياسة العامة. كحل لتقريب للظروف التي تعيشها الدول خلال تفشي الوباء، قدم الكاتبان وصفاً للعناصر الرئيسية للمؤسسات وأدوات السياسة العامة المرسلة من قبل الحكومات ذات الصلة بالحكومة الرقمية.

وأشارت دراسة الأمم المتحدة حول مؤشر الحكومة الإلكترونية في العالم (مؤشر تنمية الحكومة الإلكترونية)، المنشور في يوليو ٢٠٢٠، إلى أن جمهورية الدومينيكان حصلت على مركز متقدم في مجال البيانات الحكومية الإلكترونية، والمشاركة الإلكترونية المفتوحة، والخدمات عبر الإنترنت، مما يجعلها تحتل الصدارة بين الدول المتقدمة في تطوير الحكومة الإلكترونية منذ عام ٢٠١٨.

من الملاحظ أنه في ظل مواجهة الأزمة العميقة الناتجة عن جائحة كوفيد، استخدمت جميع الحكومات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للتعامل مع آثارها والعديد منها، حتى في الدول العربية، وقد أحرزت بعض التقدم ليس فقط في تحسين إدارة الصحة والاقتصاد ، ولكن في الحفاظ على عمل الجهاز العام والخدمات المختلفة للمواطنين.

وفي هذا المنحى، يحاول الكاتبان إجراء تقريب للجهود الرئيسية والمبادرات التي نشرتها الحكومات في بلدان المنطقة سيكا دون الإقليمية، فيما يخص العمل من المنزل، والصحة، والتعليم. لكن على الرغم من الجهود المبذولة، فإن الزيادة في عرض الإجراءات والخدمات الرقمية لا تزال لا تستجيب للتحديات التي يفرضها استخدام القنوات الرقمية لتنفيذ الإجراءات الحكومية ورفع مستويات النضج في العلاقة بين الإدارات العامة والمواطنين.

في الفصل الأخير ركّز الكاتبان على الدروس المستفادة خلال الجائحة، ويؤكدان على أن معظم دول المنطقة دون الإقليمية عرفت تقدما في تطوير الأدوات والقدرات التقنية، واللوائح المؤسسية والتخطيطية. ومع ذلك، فإن الوباء الذي يواجهنا، كشف أن حكومات المنطقة دون الإقليمية لم تتعافَ بعد من إصلاح الليبرالية الجديدة التي قوضت الثقافة والقدرات التخطيطية، وأضعفت معنى النظامية لديها وخفضت الأهمية التي تولى لها كمنصّة لتعزيز الحكامة وزيادة فاعلية الإدارة العامة.

كما أكد مؤلّفا هذه الدراسة أن الأزمة كشفت عن أهمية صياغة الأنظمة الثلاثة للتعامل مع الأزمات: نظام إدارة الطوارئ والمخاطر، ونظام المعلومات الاجتماعية والديموغرافية والاقتصادية ونظام التخطيط. أبرز الحجر الصحي أن التقنيات يمكن أن تكون محورا استراتيجيا للتنمية رغم تحفظ كثير من الحكومات. وكذلك، أظهر أوجه القصور والثغرات الموجودة داخل كل بلد. وقد أثبت الوباء المسافة القائمة بين خطابات وتقارير الأغلبية من الحكومات وعملية الرقمنة والتقدم الحقيقي في الإدارات العامة، إذ لا تشكل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مورداً استراتيجياً للتعامل مع الحياة اليومية.

ومن بين التحديات التي تواجهنا فيما يخص التخطيط والحكامة والحكومة الرقمية: تسريع عملية استعادة القدرات والرؤية والشعور المنهجي للتخطيط في حكومات ودول المنطقة دون الإقليمية، وتعزيز دور التخطيط للكيانات الحاكمة وثقلها السياسي والفني في الإطار الحكومي. بالإضافة إلى تعزيز قدرات التخطيط في حالات الطوارئ والأزمات الحادة، وتعزيز نظم المعلومات والإحصاء والتفاعل مع العلم والتكنولوجيا. فيما تواجه دول المنطقة دون الإقليمية تحديات على مستوى المساواة الرقمية، فالظروف الحالية للبلدان تحول دون ذلك، فلا يستطيع غالبية السكان الاتصال عن بعد أو العمل عن بعد أو حتى الدراسة عن بعد بشكل صحيح. وتؤكد هذه الدروس والتحديات على الحاجة إلى فهم أهمية الحكومة الرقمية، على الرغم من أنها مسؤولية الحكومات والدول وتتطلب مشاركة المواطنين وجميع الشركاء والفاعلين في المجتمع.

وختاما يمكنا القول إن الجائحة رجّحت كفة العلم والتكنولوجيا في مواجهة الأزمات، وهذا ما يحاول الكاتبان طرحه في هذا الكتاب، رغم جدة الدراسات في هذا الموضوع. ويبدو أنّ المؤلفين قد نجحا في دراستهما وتحليلهما وملامسة النقط الأساسية والمهمة في تدبير أيّ جائحة تهدد سلامة البشرية... ربما تكون إجراءات أكثر فاعلية إذا قام الجميع بدورهم في الوقاية والمعالجة الاستراتيجية، مع الذكاء والقدرة على الفعل والفعالية في الاستجابة وفي مواجهة الأزمات الراهنة التي تمر بها البشرية.

الكتاب: أولى دروس وتحدّيات جائحة كورونا لبلدان سيكا.

المؤلفان: ألبيرتو إنريكيث/ كارلوس سانتشيس
Enríquez, Alberto - Sáenz, Carlos

سنة النشر: 2021

دار النشر: Publicaciones de las naciones unidas
CEPAL ، منشورات الأمم المتحدة.

عدد الصفحات: 106

لغة الكتاب: اللغة الإسبانية.

*ملاحظة كاتبة المقال: تجدر الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين «بلدان سيكا (منطقة التكامل لأمريكا الوسطى)» و«منظمة سيكا، وهي منظمة التعاون وبناء تدابير الثقة في آسيا».

* باحثة في الدراسات المقارنة، جامعة محمد الخامس، الرباط

قصة القرآن: تاريخه ومكانته في حياة المسلمين

إنجريد ماتسون

التجاني بولعوالي *

رغم أن هذا الكتاب يعكس رؤية الباحثة الشخصية حول القرآن من زوايا متنوعة، فإن القارئ سوف يلاحظ أنها تدرس القرآن من منظور أكاديمي غربي لكن بكونها مسلمة مؤمنة. وليس هذا هو المنظور الوحيد للقرآن، لكنه منظور كان تمثيله ناقصا في الدراسات الغربية للإسلام، بمعنى أن أغلب المستشرقين الذين اشتغلوا بدراسة القرآن لم يكونوا مُسلمين.

وقد شكل القرآن موضوع اهتمام كبير في شق من الإعلام الغربي المعاصر ولدى عامة النَّاس، بيد أنه للأسف يخوض الكثير من الناس في معاني القرآن دون دراسته، كما ترى مؤلفة الكتاب الذي نراجعه في هذه الورقة. بل إن ما يلفت النظر أكثر هو صعود ما تطلق عليه «الأصولي الإسلامي غير المسلم». وتعني بهؤلاء أولئك الناس الذين يفتحون ترجمة إنجليزية لمعاني القرآن، ويقتطعون آية من سياقها، معلنين أنَّ المسلمين يؤمنون بهذا أو بذاك. من الأكيد أن بعض هؤلاء الأشخاص يسعون بصدق إلى معرفة ما يقوله القرآن. ولعل هذا الكتاب قد يقدم بعض المساعدة لهم. أما غيرهم من الذين يعارضون بشكل إيديولوجي المسلمين والإسلام، سواء بسبب اللاتسامح الديني أو لأسباب سياسية مُعينة، فسوف يستمرون في اختزال رحابة التجربة الإسلامية وتنوعها في وجهات نظر الأقلية المتطرفة والمتشددة.

في ضوء هذه الرؤية الموضوعية الرحبة، تقارب الإسلامولوجية الكندية إنجريد ماتسون القرآن الكريم، وهي تحاول استثمار معرفتها الأكاديمية بالإسلام من جهة، وتجربتها الروحية التي اكتسبتها جراء اعتناقها للدين الإسلامي من جهة أخرى. ويلاحظ أنها تؤسس فهمها للقرآن والإسلام بشكل متدرج، موظفة مختلف الآليات السردية والتفسيرية والمقارنة. ويتوزع عملها على خمسة فصول، وهي على التوالي: الله يخاطب الإنسانية، النبي يصدع بالرسالة، الصوت والقلم، الكلمات المباركة، ثم أخيرا ما يعنيه الله حقاً: تفسير القرآن.

١- الله يخاطب الإنسانية

تعقد الباحثة هذا الفصل للسياق العربي الجاهلي الذي ظهر فيه القرآن الكريم، وتناقش أهم مُعطياته ومكوناته، وكأن كلامها موجه إلى شريحة خاصة من المتلقين، لا ترى من القرآن إلا رسمه وظاهره دون جوهره ومعانيه الخفية، وهي تهيء بذلك القارئ لما يلي من فصول ومباحث. ثم إنه يظهر للوهلة الأولى أن الباحثة تتناول موضوعات مكة والجاهلية واللغة العربية وحياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وغيرها، وهي موضوعات تقليدية رتيبة أشبعها المستشرقون القدامى والمعاصرون بحثا ومدارسة. غير أنها تقتحم عبر هذه القضايا عوالم جديدة لم يستكشفها الباحثون بعد، وتطرح تفسيرات وأسئلة تبدو وكأنها تُطرح للمرة الأولى.

تشير الباحثة إلى أن مكة كمستوطنة جديدة تم تأسيسها من طرف إبراهيم وهاجر وإسماعيل، بينما نحن اعتدنا التركيز على الثنائي النبوي إبراهيم وإسماعيل! وتستخلص أيضًا أنَّ أغلب الأنبياء ولدوا في ظروف غير عادية، وشهدوا طفولة حزينة. كما تستشفّ أن خديجة أدت دوراً حاسماً في بناء الثقة لدى النبي. والأهم من ذلك كله، هو قصة خولة بنت ثعلبة في سورة المجادلة، التي تكشف عن أن مشاكل الناس العاديين وهمومهم تحظى أيضًا بالعناية الربانية. فالوحي القرآني لا يقتصر على النبي وحده، بل يمكن القول من المنظور العقدي أن الله خلق مجتمعا من الرجال والنساء الذين يريد أن يخاطبهم، بطريقة ذات أهمية عالمية وأبدية، قد تنطبق أيضا على أناس آخرين في أزمنة وأمكنة أخرى.

٢- النبي يصدع بالرسالة

تتبع ماتسون مسار الوحي القرآني في هذا الفصل كما يفهمه معظم المسلمين. ويتخذ هذا المسار منحيين متقاطعين: أحدهما يخص السياق المكي/المدني بمختلف أحداثه وظروفه وشخوصه، والمنحى الآخر يتعلق بالوحي القرآني نفسه الذي كان يواكب تحولات ذلك السياق. وتذهب إلى أن عدم ترتيب القرآن زمنياً لا يعني أن المسلمين الأوائل لم يكونوا مهتمين بتاريخ الوحي، بل كان يحضر لديهم سببان مختلفان ومترابطان في الوقت نفسه لمعرفة هذا التاريخ.

يتحدد السبب الأول في الرغبة في الاحتفاظ واستعادة المعلومات عن النبي الذي نزلت عليه هذه الكلمات المُقدسة. بالنسبة للمسلمين الأوائل كان الوحي موضع تقدير كآثار شفوية تربطهم بحضوره المبارك. أما السبب الثاني، فيتجلى في السياق التاريخي الذي نزل فيه القرآن، وهو يعتبر في الغالب مفتاحاً لاستيعاب معناه. فالقرآن يتضمن أسماء أشخاص وجماعات محددة (الأنصار، أبو لهب...)، وأماكن معينة (حنين، المسجد الأقصى...). ومن الطبيعي أن المسلمين الذين لم يكونوا على دراية بهذه الأمور سوف يحاولون معرفتها وفهم علاقتها بقصة الإسلام.

٣- الصوت والقلم

تستهل ماتسون هذا الفصل بسرد قصة الفتاة الأمريكية ريم ذات السبعة عشر ربيعا، ريم التي توجهت في أغسطس ٢٠٠٢، بعد حفظها القرآن الكريم في الولايات المتحدة الأمريكية، إلى دمشق، حيث يوجد الشيخ أبو الحسن محي الدين الكردي الذي سوف يجيزها في حفظ القرآن وقراءته. ويعتبر الشيخ الكردي الشخص الثامن والعشرين في السلسلة الذهبية لنقل القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم.

لم توظف الباحثة هذه السردية لتطلعنا على قصة الفتاة ريم، بقدر ما عمدت من خلالها إلى مناقشة جملة من المسائل الجوهرية في الدراسات القرآنية، كجمع القرآن، والقراءات، وكتابة القرآن، وعلم التجويد، ونقل القرآن إلى عصرنا الحالي، وغيرها. وقد جاء في تفسيرها لعبارة «كلام الله» ما يأتي:

«إن تلاوة القرآن باللغة العربية من قبل المسلمين تستمر، لأنهم يعتقدون أنه «كلام الله». من الأكيد أنَّ هذه العبارة قد تعني أشياء تختلف من مجموعة من المسلمين إلى أخرى عبر التاريخ. ومع ذلك، تتفق كل الجماعات على أن القرآن لا يحتوي على كلمات محمد؛ فهو لم يؤلف القرآن، وليس القرآن محاولته لفهم ما هو إلهي. إن كلمات القرآن هي كلام الله؛ فأي ترجمة للقرآن ما هي إلا تفسير للكتاب الموحى. ومن ثم، فإن إجازات حفظ القرآن وتجويده، مثل إجازة الشيخ الكردي، لا تتوقف عند النبي محمد، بل تستمر إلى الملاك جبريل، ثم إلى العالم السماوي، إلى «ذو الجلالة»؛ (رب العزة)».

وفضلا عن ذلك، فلا تكتفي ماتسون بتناول عدد من الموضوعات والمفاهيم القرآنية، بل تسعى جاهدة تارة إلى توضيح ما استغلق منها، لاسيما لدى المتلقي الغربي الذي لا يملك معرفة كافية باللغة العربية والدين الإسلامي، وطوراً إلى الرد العقلاني على بعض التفسيرات الاستشراقية غير الموضوعية، خصوصا التي تشكك في جمع القرآن، وتضرب في مصداقية الروايات التقليدية، كما صنع جون وانسبورغ الذي ادعى أن القرآن تم تأليفه في وقت لاحق، وأن المصحف لا يعكس سوى القليل من الرسالة الأصلية التي نقلها محمد. وقد اعتبرت الباحثة أنَّ هذا الادعاء واهٍ يفتقد إلى المصداقية لعدد من الأسباب. أولها أن هذا يفترض وجود مؤامرة واسعة الانتشار بين مسلمي القرنين الثاني والثالث لإخفاء الحقيقة (حقيقة الوحي). وأن مثل هذه المؤامرة كان يمكن إخفاؤها تماما عن أنظار التاريخ وتحققها بين المسلمين الذين انقسموا بشدة بحلول القرن الثاني بسبب الهويات الطائفية والحزبية السياسية. وثانيها أن وانسبورغ (وآخرين) أخطأ في تأكيد أن الروايات حول تجميع القرآن لا يمكن إثباتها قبل أواخر القرن الثاني، حيث توصل هارالد موتسكي في الآونة الإخيرة إلى أنه يمكن إثبات أن تلك الروايات كانت متداولة قبل نهاية القرن الأول للإسلام. وثالثها أنه تم

مؤخرا اكتشاف المخطوطات المبكرة والأدلة الكتابية المتوافقة مع القرآن. والسبب الأخير هو أن الباحثين الذين أجروا تحليلات معمقة لمختلف التلاوات التقليدية والاختلافات الرسومية الطفيفة الواضحة في النصوص المبكرة، استنبطوا أن اتساقها الكبير هو دليل على حفظ القرآن شفهيا وكتابيا في وقت مبكر. ولعل الحفاظ على القرآن ونقله بشكل محكم وأمين كما أوحي إلى النبي محمد يُعتبر الالتزام اللافت الذي أظهره المسلمون على مر العصور، كما تستجلي ماتسون في إحدى خلاصاتها. وسعيا إلى تحقيق هذا الغرض استعمل المسلمون كل الوسائل المتاحة لحفظ النص القرآني ونقله وجعله حيا بين الناس، من مخطوطات وجلود وألواح وأوراق ومطابع وأشرطة تسجيل صوتية وإنترنت. كما أنه تم تدريس القرآن الكريم في مختلف الظروف، في الخفاء والعلن، في البيوت المتواضعة والمساجد الكبرى ورياض الأطفال والحوزات. وأكثر من ذلك، فإنه كان هناك في كل جيل العديد من المسلمين المخلصين الذين كرسوا أنفسهم للتحدي الصعب المتمثل في حفظ القرآن وإتقان تلاوته. وهكذا يستمر الحفاظ على هذا النص المقدس بالكامل، وينقل عبر الأجيال بدقة وإحكام، ويحتفل به في المجتمعات الإسلامية أيما احتفال.

٤- الكلمات المباركة

تناقش الباحثة ماتسون في هذا الفصل العلاقة بين القرآن والثقافة ومختلف تمظهراتها في الهندسة والصحة والنظافة وغيرها. وترى أن هناك حقيقة واضحة لا ينبغي إغفالها، وهي أن المسلمين في جميع أنحاء العالم يقرؤون القرآن ويتلونه باللغة العربية، وهذا مستمر اليوم كما كان منذ بداية الإسلام، فهو ليس ضرورة تاريخية. إن التنوع الثقافي في العالم الإسلامي ليس تطورا جديدا، فمن المحتمل أنه خلال القرنين الأولين من ظهور الإسلام كانت غالبية المسلمين من غير الناطقين باللغة العربية. لذلك شكلت ترجمة معاني القرآن آلية لتقريب هؤلاء من حقيقة القرآن، لكن هذا يتم على حساب الجانب الصوتي حيث يستحيل استنساخ المصحف المرتل ونقله إلى لغة أخرى. ما يقتضي من المسلمين عبر العالم ترتيل القرآن بلغته العربية الأصلية.

وتتخذ اللغة العربية موضعا مركزيا في التعليم الديني الإسلامي، حيث تدرس اللغة العربية القرآنية بدل اللهجات المحلية، وتشكل لغة التواصل المفضلة بين المسلمين الذين تلقوا تعليما دينيا. وقد أثرت أسبقية اللغة العربية في التربية الإسلامية على اللغات المحلية حيثما انتشر الإسلام. بعد ظهور الحكم الإسلامي في العراق على سبيل المثال، تحول الفرس إلى الكتابة بخط عربي معدل. ومع مرور الوقت، تم اعتماد الكثير من المفردات العربية في اللغة الفارسية رغم أنها لغة هندو-أوروبية بينما العربية لغة سامية. وقد ظهر نمط مشابه في بلدان أخرى اعتنقت الإسلام مع الأردية، التركية، والجاوية التي كانت تكتب بالأبجدية العربية، ومنها ما يظل كذلك إلى اليوم.

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، شجعت القوى الاستعمارية الأوروبية المسلمين غير العرب على رفض اللغة

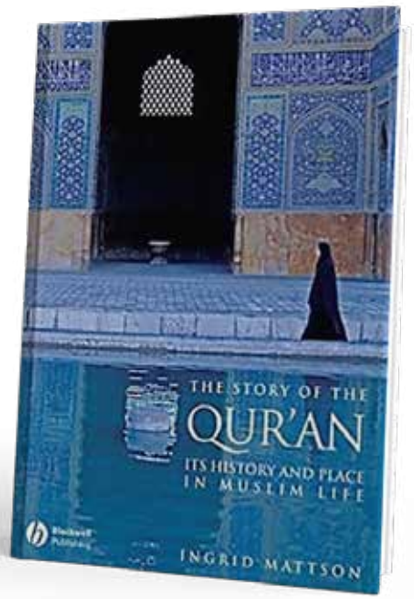

والكتابة العربية باعتبارها غريبة عن ثقافتهم الأصلية. وقد تبنى القوميون العلمانيون هذه الاستراتيجية في مصر وسوريا حيث دعوا الناس إلى استعمال اللهجات واللغات المحلية في محاولة للانفصال عن شكل من أشكال اللغة العربية يرتبط ارتباطًا وثيقًا بنظرة دينية للعالم. وفي تركيا أمر أتاتورك بكتابة اللغة التركية باللاتينية بدلاً من العربية. وقد جعل هذا التغيير الأتراك الذين لم يتلقوا تعليما دينيا خاصا خارج نظام المدارس العامة غير قادرين على قراءة القرآن، وتم عزلهم عن ستة قرون من التاريخ التركي العثماني.

وتخلص الباحثة في هذا الفصل إلى أن تأثير القرآن على التعبير اللغوي في المجتمعات الإسلامية واسع، ويستحق دراسة منفصلة، لكن لا يمكننا ترك هذا الموضوع دون ذكر بعض العبارات القرآنية التي يستخدمها المسلمون العرب وغير العرب كتعابير مشتركة. وتشمل هذه التعبيرات إن شاء الله، وما شاء الله، والحمد لله، وبسم الله. يتم استعمال هذه التعبيرات الأربعة بشكل متكرر في المجتمعات الإسلامية، حتى من قبل الأفراد العلمانيين وغير المسلمين الذين يعيشون بين المسلمين، لدرجة أنهم وحدهم يشهدون على الطريقة العميقة التي شكل بها القرآن الثقافات الإسلامية وأثرها في جميع أنحاء العالم.

٥- ما يعنيه الله حقا: تفسير القرآن

تذهب ماتسون إلى أنَّ رفض عمر بن الخطاب تصديق وفاة النبي صلى الله عليه وسلم شكل الموقف الأول الذي اقتضى تفسير القرآن وتطبيقه من طرف أبي بكر الصديق دون إمكانية اللجوء إلى النبي كما كان الأمر في الماضي. ويتعلّق الأمر بالآية ١٤٤ من سورة آل عمران التي تلاها على عمر ليثبت صحة مفارقة النبي للحياة: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾.

ثم إنَّ تطور تفسير القرآن في القرون التي تلت وفاة النبي محمد لم يحدث بين عشية وضحاها، بقدرما استغرق أشواطا طويلة لينضج ويستقل كعلم قائم بذاته. إن المسلمين حاولوا منذ البداية فهم القرآن، فقاموا بتفسيره دون منهجية واضحة أو متسقة. لم تفكر الأجيال الأولى في تطوير نظام مناسب فسرت في ضوئه القرآن. وبدلا من ذلك، تم تقديم التفسيرات، وتم الطعن في بعضها، ما استلزم تطوير منهجية أكثر رسمية. ومع ذلك، فإن التفسيرات التي حظيت بالانتشار لم تكن بالضرورة الأكثر تماسكا أو وضوحا. ساهمت مختلف العوامل المذهبية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في شعبية بعض التفسيرات وبعض المفسرين على الآخرين.

وتورد الباحثة مثالا من الأهمية بمكان بخصوص اختلاف زوايا نظر الصحابة بخصوص فهم القرآن وتأويله، ويقترن بالآية ٣٤ من سورة التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، التي اختلف الصحابيان أبو ذر الغفاري ومعاوية بن أبي سفيان حول المراد بها، كما ورد لدى البخاري. فمعاوية رأى أنها نزلت في أهل الكتاب، بينما أبو ذر اعتبر أنها نزلت «فينا وفيهم»، أي في المُسلمين وأهل الكتاب على حد سواء. وترجع الباحثة هذا الاختلاف في التفسير إلى اختلاف منطلقاتهما الإيديولوجية، حيث أبو ذر يعتقد أن على المسلمين أن يستمروا في عيش حياة الرسول الزاهد. وأنه لا يجب على الأفراد فقط، بل حتى على الدول أيضا، ألا تكدس الثروة. في مقابل ذلك، معاوية الذي لم يكن حديث عهد بالإسلام، بل كان أيضاً من صحابة الرسول، تحدى تفسير أبي ذر لهذه الآية على سياسة حكومته، معتبرا أنها تتعلق بالأحبار والرهبان الذين لا يؤتون الزكاة.

نافلة القول، إن مقاربة الإسلامولوجية الكندية إنجريد ماتسون للوحي القرآني تختلف جذريًا عما هو معهود في الدراسات الاستشراقية للقرآن سواء التقليدية أو المعاصرة، التي عادة ما تمارس قراءات إما جدلية اعتذارية، كما كان الأمر في الماضي، وإما نقدية تاريخية تعامل القرآن كنص أدبي لا يختلف عن النصوص الوضعية، كما هو سائد في الدراسات الإسلامية المعاصرة. ماتسون تؤسس لمنظور جديد ومغاير توفق فيه بين الاشتغال الأكاديمي بزخمها المعرفي وخبرتها المنهجية من ناحية، وبين تجربتها الروحية التي تجعلها تغوص في عوالم القرآن الممتدة.

العنوان: قصة القرآن: تاريخه ومكانته في حياة المسلمين

المؤلف: إنجريد ماتسون

عدد الصفحات: 262

اللغة: الإنجليزية

تاريخ النشر: 2021

الناشر: Blackwell Publishing

* أكاديمي في جامعة لوفان في بلجيكا

المستشارون: توجيه الاقتصاد البريطاني في أوقات الأزمات

هاورد ديفيز

عبدالرحمن الغافري *

في عام 1977 عندما فقدت وزارة الخزانة سيطرتها على أسعار الفائدة المستفادة من بنك إنجلترا، بدأ الوضع التهديدي لها، ولكن سرعان ما تماسكت، وأعادت قوتها من خلال هيمنتها عليه بوضع سياسات عن طريق وايتهول، وتقليص وزارات أخرى في هذه العملية. في المقابل نجحت في صد عدة محاولات من قبل رؤساء الوزراء، من بلير إلى جونسون، لوضع حد لها وتقليص حجمها.

يوضح هوراد ديفيز كيف كانت السنوات الخمس والعشرون الماضية، مع رحلة تغيير مثيرة للخزانة كاملة. ومن خلال التغييرات التي حصلت، كانت تتعرض كثيرا لانتقادات بسبب استجابتها للأزمة المالية العالمية، ولقسوة برنامج التقشف الذي كان يحاصرها، بالإضافة الى مواجهات الجدل السياسي من خلال دورها في الاستفتاء الاسكتلندي، ومناقشة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي.

أي شخص مهتم بوضع السياسات الاقتصادية، في المملكة المتحدة وأماكن أخرى، سيجد هذا الكتاب قيما وممتعا. لا توجد أي إدارة قوية مدعومة من الحكومة تحظى بأي شعبية في المملكة المتحدة في وزارة خزانة صاحبة الجلالة. في حين أن بعض الدول تقسم دور وزارة المالية مثل (زيادة الإيرادات من الضرائب والتحكم في الإنفاق العام)، ووزارة الاقتصاد (التي تسعى إلى تحقيق النمو الاقتصادي)، فإن المملكة المتحدة تحدد كلا المسؤوليتين في مؤسسة واحدة. وهذا يعني أنَّه بالكاد توجد سياسة حكومية واحدة لا يكون للخزانة رأي فيها، وعادة ما تكون هذه السياسة حاسمة.

نتيجة لذلك، دائما ما تفضل وزارة الخزانة جذب موظفي الخدمة المدنية الأكثر قدرة، ومنحهم قوة كبيرة في مرحلة مبكرة من حياتهم المهنية، كونهم يملكون دائماً القدرة على العطاء الأكثر، والاستمرار في العمل لساعات متأخرة. في حين يجد المسؤولون من إدارات الإنفاق أنفسهم في تعامل مستمر مع نظرائهم في وزارة الخزانة، الذين هم أصغر منهم وأكثر ذكاء وقوة. أضف إلى هذه الديناميكية التوتر الحتمي بين الإدارات الراغبة في القيام بأشياء، وبين رغبة الخزانة في السيطرة على الإنفاق، وليس من المستغرب عدم وجود قدر كبير من الدفء الموجه نحو الخزانة.

هذا العداء أو تضاربات المصالح، لا يأتي فقط من الدوائر الحكومية الأخرى. هناك شيء مثل «وجهة نظر الخزانة»، منظور حول العالم يمكن إرجاعه إلى منصب مستشار وليام جلادستون في خمسينيات القرن التاسع عشر. باختصار، (إنه إيمان باستصواب انخفاض التضخم، والتمويل العام السليم، والتجارة الحرة). تعرضت هذه الغرائز للهجوم مؤخرا من قبل اليساريين؛ لأنها دفعت وزارة الخزانة إلى السعي إلى تعزيز المالية العامة في أعقاب الأزمة المالية العالمية، واليمين لأنهم قادوا وزارة الخزانة إلى معارضة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في استفتاء عام ٢٠١٦، وبالتالي في محاولة تقليل الأضرار التي لحقت بالتجارة في الاتحاد الأوروبي.

يغطي كتاب ديفيز الفترة من ١٩٩٧ إلى نهاية عام ٢٠٢١، لكنه لا يركز كثيرا على مستشارين محددين بقدر تركيزه على وزارة الخزانة ككل.

تحدث الكاتب في دراسته منطلقا من معرفته العميقة بالمؤسسة. لقد عمل مسؤولا في الخزانة، ومستشارا خاصا من نوع ما، والمدير العام لاتحاد الصناعة البريطانية، ونائب محافظ بنك إنجلترا، ورئيس هيئة الخدمات المالية ورئيس أحد البنوك الكبرى. وقد أجرى مقابلات مع أربعة من أصحاب منصب المستشار الستة خلال الفترة ذات الصلة - جوردون براون، واليسير دارلينج، وجورج أوزبورن وفيليب هاموند - بالإضافة إلى كبار المسؤولين والمستشارين الخاصين ووزراء آخرين.

والنتيجة هي سرد سريع ومقروء لفترة مضطربة. يتمثل نهج ديفيز في تخصيص فصول فردية لمجالات سياسية محددة - الاقتصاد الكلي، والإنفاق العام، والسياسة الضريبية، وأوروبا، والاستقلال الاسكتلندي، والتنظيم المالي، وتغير المناخ - والسماح للشخصيات البارزة بتقديم قضاياها. كانت تقييماته الخاصة لسياسة الخزانة متوازنة ومدروسة. هذا ليس جدليا: فهو لا يتهم أحدا بأنه أحمق أو عاطفي؛ كما أن تقييمه لأداء اقتصاد المملكة المتحدة ليس معززا أو مليئا بالهلاك.

لقد كان يدعم على نطاق واسع الدور الذي لعبته وزارة الخزانة في معالجة أزمتين رئيسيتين - الأزمة المالية العالمية ووباء فيروس كورونا - ويشعر المرء بتساؤله إزاء الدور السياسي غير المعتاد الذي اضطلعت أو عملت به وزارة الخزانة في استفتاء الاستقلال الأسكتلندي عام ٢٠١٤، ثم مرة أخرى في استفتاء الاتحاد الأوروبي لعام ٢٠١٦، على الرغم من أنه يتعاطف مع موقف وزارة الخزانة والحاجة إلى التدخل.

ديفيز أيضًا يتفق مع الحجة القائلة بأنَّ وزارة الخزانة بحاجة إلى تقليص حجمها. كانت هناك محاولات مختلفة للقيام بذلك خلال العقود الأخيرة، وعادة ما تأتي من طاقم رئيس الوزراء. كما يشير ديفيز، يتمتع رئيس الوزراء الذي يتمتع بأغلبية برلمانية بقدر كبير من القوة، ووجود مركز بديل قوي للسلطة يعد بمثابة فحص «للديكتاتورية الاختيارية». وهو غير مقتنع بأن فصل دور وزارة المالية عن وزارة الاقتصاد سيسهم في تسريع النمو الاقتصادي.

يدرك ديفيز أنه يمكن اتهامه بأنه «مطلع»، لكن هذا لا يزعجه كثيرا. إنه أكثر قلقا بشأن ما إذا كانت وزارة الخزانة، و«وجهة نظر الخزانة»، ستكونان مجهزتين تجهيزا جيدا بما يكفي لمواجهة ما يراه من التحديات المقبلة: رفع المستوى، وتغير المناخ، والإصلاح الضريبي، والضغوط على المالية العامة، والمطالبة بتحسين الإنتاجية والحاجة إلى تنسيق أوثق للسياسة النقدية والمالية. يجادل بأن وزارة الخزانة يجب أن تتطور للتعامل مع هذه التحديات، على سبيل المثال، من خلال توظيف متخصصين ذوي خبرة وخبرة عميقة، بدلا من الاعتماد على العموميين الشباب المتميزين، وهو ما عملت به تقليديا.

يشير ديفيز أيضا إلى أن «وجهة نظر الخزانة» أصبحت الآن غير عصرية إلى حد ما. لقد أدى خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي إلى تقليص التجارة الحرة، وشهد الوباء ارتفاعا حادا في الدين الحكومي دون ردة فعل كبير من السوق. وهو يجادل بأن وزارة الخزانة «معرضة بشكل خطير لمقترحات السياسة الهرطقية المقدمة في أماكن

أخرى في الحكومة، وخاصة فيما يتعلق بالإنفاق العام». حتى في الوقت الذي مضى منذ أن أكمل ديفيز كتابه، يمكن للمرء أن يجادل في أن مثل هذه المخاطر، قد ازدادت مع تراجع الموقف السياسي للمستشار الحالي ريشي سوناك. سوناك - مستبعدا حماسه لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، والأهم من ذلك، الموانئ الحرة - هو رجل وزارة الخزانة إلى حد كبير، ويقاوم مطالب رئيس الوزراء، بوريس جونسون. كما يشرح ديفيز، فإن مركز الخزانة قد تضاءل، وتضاءل خلال الفترة المشمولة إلى حد كبير، بما يتماشى مع القوة السياسية للمستشار في أي وقت معين. وزير المالية الضعيف يعني ضعف الخزانة.

سيُرحب البعض بذلك، معتقدين أن تفكير الخزانة أعاق البلاد. ولكن بالنظر إلى التحديات التي تواجه الدولة التي حددها ديفيز، فمن المرجح أن يتم التغلب عليها بخزانة قوية وواثقة. يقول المؤلف إنَّ بريطانيا تواجه ضغوطا كبيرة في الإنفاق نتيجة للتغيرات الديموغرافية، ولكن من المرجح أن تتعامل مع هذه الضغوط إذا تم إنفاق أموال دافعي الضرائب بحكمة وكفاءة وبدون أي تهرب.

هناك حاجة إلى إصلاح ضريبي، خاصة وأنَّ ضغوط الإنفاق التي نوقشت تعني أن الضرائب قد تضطر إلى المزيد من الارتفاع. لم تكن المشكلة في عدم فهم وزارة الخزانة للقضية، ولكن لم تكن أي حكومة في وضع قوي بما يكفي لإحراز تقدم. فيما يتعلق بتحسين الإنتاجية، ستكون نقطة البداية الجيدة هي إقامة علاقة أوثق مع الاتحاد الأوروبي، مما يمكننا من إزالة الحواجز التجارية التي أقيمت مؤخرا، وهو أمر تفضله وزارة الخزانة.

يُطلق على كتاب هوارد ديفيز الجديد "The Chancellors"، لكنه في الحقيقة عن خزانة صاحبة الجلالة وثرواتها المتقلبة في ربع القرن الماضي. ويستند إلى مقابلات، ليس فقط مع المستشارين السابقين، ولكن أيضا مع وزراء ومسؤولين ومستشارين خاصين آخرين، بعضهم مسمى وبعضهم مجهول، وعلى خبرات ومعرفة ديفيز الخاصة. يوفر هذا قاعدة معلومات غنية لكتاب يقدم سلسلة مثيرة للاهتمام دائما من وجهات النظر في فترة مضطربة.

يسرد الكتاب العديد من الأحداث التي كان لها تأثير كبير على الخزانة في تلك السنوات الخمس والعشرين: استقلال بنك إنجلترا، وإبعاد مسؤولية السياسة النقدية من الخزانة؛ والتحويل في الاتجاه المعاكس لإدارة الدين الحكومي؛ والأزمة المالية وعواقبها المالية والتنظيمية؛ وكوفيد وعواقبه المالية؛ ونشر نصيحة وزارة الخزانة للحكومة بشأن الآثار المترتبة على استقلال أسكتلندا؛ وتحليل وزارة الخزانة لقضية انضمام المملكة المتحدة إلى

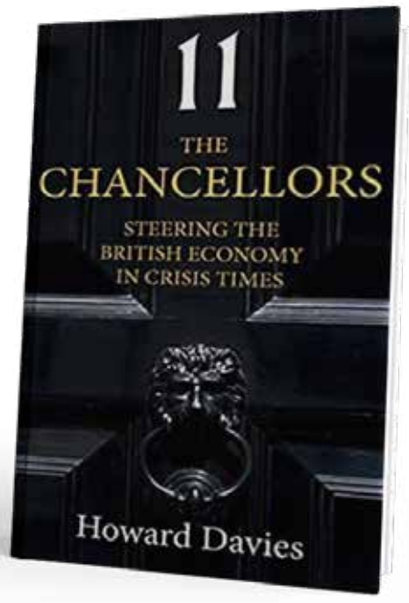

اليورو، ونشر تقييم وزارة الخزانة للآثار الاقتصادية لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، والبريكست نفسه. يلفت ديفيز الانتباه بشكل مفيد إلى مشكلة خطيرة نشأت في العلاقة بين السياسة النقدية، التي يديرها بنك إنجلترا، وإدارة الديون الحكومية، وهي مسؤولية وزارة الخزانة. أدى التطبيق المتكرر للتيسير الكمي من قبل بنك إنجلترا منذ عام ٢٠٠٩، إلى تقصير هيكل استحقاق الدين الحكومي بشكل كبير. في الذروة، تضمنت التزامات الحكومة ٨٩٥ مليون جنيه إسترليني - ما يعادل ٣٦٪ من الناتج المحلي الإجمالي - عند استحقاق صفري، وهو ما يمثل التزام الخزانة بأرصدة الودائع الاحتياطية للبنوك التجارية في بنك إنجلترا، المتضخمة بسبب التيسير الكمي. هذا أمر خطير لسببين رئيسيين. أولا، يعرض المالية العامة لمخاطر أسعار فائدة جسيمة. تحمل الأرصدة فائدة بسعر البنك، لذا أصبح الإنفاق العام الآن شديد الحساسية لقرارات لجنة السياسة النقدية، بشأن أسعار الفائدة قصيرة الأجل. ثانيا، هناك خطر يهدد استقلال البنك المركزي، وخطر الذيل من الهيمنة المالية على السياسة النقدية. وافقت وزارة الخزانة على كل تطبيق من طلبات التيسير الكمي، وتتحمل المسؤولية عن المالية العامة، لكن بنك إنجلترا هو بنك مصرفي للحكومة، وبالتالي لا ينبغي أن يتصرف بما يتعارض مع مصالحها المالية. يكمن وراء كل هذا فشل التنسيق بين وزارة الخزانة وبنك إنجلترا حول مسألة مهمة ذات اهتمام مشترك. ربما يُخشى أن يتعارض أي تنسيق مع استقلالية البنك؛ ومع ذلك، في الحقيقة، فإن الفشل في التنسيق هو التهديد الأكبر لاستقلال البنك.

أدى نشر نصيحة وزارة الخزانة بشأن أهم القضايا السياسية، وأكثرها إثارة للجدل في تلك الفترة إلى جر مسؤولي وزارة الخزانة إلى السياسة إلى جانب وزرائهم. إن سجل التحليلات المنشورة لوزارة الخزانة ممتاز. كان حجم العمل الضخم الذي أدى إلى قرار البقاء خارج منطقة اليورو ذا جودة عالية جدا وأثبت أنه حاسم. وبالمثل، كان تحليل استقلال اسكتلندا، من وجهة نظر ديفيز، شديد التأثير. من الصعب الحكم على تقييم خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، الذي سخر منه خلال حملة الاستفتاء على أنه مجرد دعاية لـ «مشروع الخوف»، ويرجع ذلك جزئيا إلى أن تأثيرات خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي قد حجبتها تأثيرات كوفيد جزئيا، وجزئيا لأن آثار خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بدأت في الظهور للتو.

كانت وزارة الخزانة تعاني من نقص شديد في الناس بسبب الأزمة المالية. يظل عدد موظفيها قليلا ويتقاضون رواتب منخفضة. هذا له تكاليف حقيقية. كما نُقل عن جوس أودونيل قوله، سوف تتحسن الرفاهية الوطنية بشكل كبير؛ إذا تم إعادة توزيع نصف الاقتصاديين العاملين في السياسة النقدية في بنك إنجلترا للعمل على الضرائب في وزارة الخزانة. يتساءل المرء لماذا لم يحدث هذا بطريقة ما. تعرضت وزارة الخزانة بشكل دوري للتهديد من خلال إنشاء وزارة منافسة للدولة مسؤولة عن النمو الاقتصادي. كانت إدارة الشؤون الاقتصادية، التي أُنشئت عام ١٩٦٤، من أخطر التهديدات. لكنها لم تدم طويلا. بشكل أساسي، يجب أن تكون هناك سيطرة مركزية على الإنفاق العام، وإلا فإن الإنفاق العام سوف يمتص المزيد والمزيد من ناتج الدولة، ويفوق قدرة الدولة على تحصيل الضرائب. بهذه الطريقة يكمن التضخم، ولهذا السبب فإن موقف وزارة الخزانة آمن. استنتاج ديفيز - الذي ينذر بالسوء «مشكلة في المستقبل» - يسرد سبع تحديات سيتعين على وزارة الخزانة مواجهتها قريبا. ربما سيكون هناك المزيد. كتابه غني بالمعلومات وممتع.

الكتاب: المستشارون: توجيه الاقتصاد البريطاني في أوقات الأزمات

المؤلف: هاورد ديفيز

دار النشر: مطبعة بوليتي

سنة النشر: 2022 م

عدد الصفحات: 272 صفحة

اللغة: الإنجليزية

* كاتب عُماني

لماذا نحارب: جذور الحرب وطرق السلام

كريستوفر بلاتمان

زينب الكلبانية *

يشرح أحد الخبراء المشهود لهم في مجال العنف وبناة السلام المخضرمين، الأسباب الخمسة التي تجعل الصراع (نادرا) يتحول إلى حرب، وكيفية مقاطعة هذه العملية المُميتة. لا شيء يمكن أن يكون أكثر أهمية اليوم من الحرب والسلام. من السهل التغاضي عن القوى الإستراتيجية الأساسية للحرب، لرؤيتها فقط على أنها سلسلة من الأخطاء والحوادث والعواطف التي انحرفت عن مسارها. من السهل أيضا نسيان أن الحرب لا ينبغي أن تحدث، وفي معظم الأحيان لا يحدث ذلك. هناك الملايين من الخصومات العدائية في جميع أنحاء العالم، ولكن جزءا صغير منها فقط هو الذي يندلع في أعمال العنف. ننسى الكثير من روايات الصراع هذا.

بنهج غير بديهي، يذكرنا بلاتمان أن معظم المنافسين يكرهون بعضهم البعض بسلام. ذلك لأن الحرب مكلفة للغاية. يجد الأعداء دائمًا أنه من الأفضل تقسيم الفطيرة بدلاً من إفسادها أو الصراع على شرائح رقيقة. لذا، في تلك الحالات النادرة التي ينشب فيها القتال، يجب أن نسأل: ما الذي منع الخصوم من التسوية؟

تستند لماذا نقاتل إلى عقود من الاقتصاد والعلوم السياسية، وعلم النفس والتدخلات الواقعية، لتحديد الأسباب الجذرية للحرب وعلاجها، مما يُوضح أن العنف ليس هو القاعدة. إن هناك خمسة أسباب فقط تجعل الصراع ينتصر على التسوية؛ وكيف يحول صانعو السلام المد والجزر من خلال الإصلاح وليس التحول.

من الدول المتحاربة إلى عصابات الشوارع، والجماعات العرقية، والطوائف الدينية إلى الفصائل السياسية، هناك ديناميات مشتركة يجب الانتباه إليها، ودروس يجب تعلمها. على طول الطريق، نلتقي بملوك أوروبيين مغرمين، وديكتاتوريين أفارقة، وحشود هندية، وطيارين نازيين، ومشاغبين بريطانيين لكرة القدم، ويونانيين قديمين، وأمريكيين متعصبين.

ماذا عن العلاجات التي تحول الحوافز بعيدا عن العنف، وتعيد الأطراف إلى عقد الصفقات؟ من المدهش أن المجتمعات جيدة في مقاطعة وإنهاء العنف عندما تريد، حتى عصابات ميديلين، كولومبيا تفعل ذلك. واقعي ومتفائل هذا الكتاب ويضفي معنى جديدا على القول المأثور القديم، «امنح السلام فرصة».

عندما كتب «لماذا نحارب: جذور الحرب والطرق إلى السلام»، لم يكن عالم الاقتصاد كريستوفر بلاتمان يعرف أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين سيغزو أوكرانيا قريبا، مما أدى إلى اندلاع الحرب الأكثر دموية في أوروبا منذ عام ١٩٤٥. كما أن حرب بوتين أدت إلى غزو أوكرانيا. بالضبط نوع التجربة الطبيعية التي يبحث عنها علماء الاجتماع مثل بلاتمان. لذلك لدينا فرصة لاختبار ما إذا كانت أطروحة بلاتمان تساعدنا على فهم سبب بدء بوتين لمثل هذه الحرب المتهورة، وما إذا كانت الأطروحة تقترح طرقا نحو سلام دائم.

يهتم بلاتمان بأكثر من الحروب الكبيرة بين الدول. إنه يريد أن يفهم لماذا تنخرط أي مجموعة من البشر في عنف منظم ومستمر، عندما تكون التكاليف باهظة للغاية. يجادل بأن معظم الجماعات تحل خلافاتها دون عنف، أو كما يصفها بدقة، تختار «كرها لبعضها البعض بسلام». تماما كما سيقبل اثنان من المتقاضين في قضية محكمة فوضوية صفقة الإقرار بالذنب؛ لتجنب تكاليف المحاكمة المطولة، فإن عصابات الشوارع والمتمردين والحكومات عادة ما يبحثون عن طرق لعقد صفقة بدلاً من المخاطرة بالتدمير. يجادل بلاتمان بأن هذا التحيز للسلام يفشل عندما يسود مزيج سام من خمسة شروط. إن السياق الناتج عن هذه الظروف، وليس ندرة الموارد أو الفقر أو أي من الأسباب التي يُشار إليها عادة للحرب، يفسر «لماذا نقاتل».

إلى أي مدى يفسر هذا النموذج الغزو الروسي لأوكرانيا؟ أولا، الأعداء يفضلون الكراهية في السلام. يعتقد معظم الناس أن الحرب سهلة والسلام صعب، ولكن العكس هو الصحيح. تبدو هذه رسالة غريبة عندما يكون هناك صراع هائل ومستمر في أوكرانيا، ولكن هذا لأننا لا نولي اهتماما إلا للنزاعات التي تحدث. على سبيل المثال، بعد أسبوعين من الغزو الروسي لأوكرانيا، أطلقت الهند بطريق الخطأ صاروخ كروز على باكستان، ولكن تبع ذلك الهدوء. كان من الممكن أن تكون الحرب مكلفة بشكل لا يُمكن تصوره، لذلك سعى الجانبان إلى تجنبها، كما فعلا منذ عقود.

مثال آخر هو أن تلاميذ المدارس سوف يتعلمون عن الغزو الأمريكي لأفغانستان خلال العقدين المقبلين. ومع ذلك، لن يسمع أي منهم تقريبا عن غزو أمريكا لهايتي عام ١٩٩٤. بعد أن استولى جنرال عسكري على السلطة من الرئيس المنتخب حديثا، وصل كولن باول، وزير الخارجية لإدارة جورج دبليو بوش، إلى هايتي بدعم من الأمم المتحدة. وعرض باول على الديكتاتور الجديد شريط فيديو لعشرات الطائرات العسكرية الأمريكية، وهي تقلع مليئة بالجنود والمعدات. أوضح باول أن اللقطات كانت منذ ساعتين. استسلم الجنرال هناك.

القتال لا يستحق كل هذا العناء تقريباً، لكن لا أحد يكتب كتبا عن الأوقات التي لا نقاتل فيها، ونحن نميل إلى التغاضي عن المقالات حول التسوية الهادئة. إن التركيز حصريا على الأوقات التي فشل فيها السلام، هو تحيز في الاختيار يشجع معظم الناس على الاعتقاد بأن الحرب أمر شائع، على الرغم من حقيقة أن القتال هو الاستثناء وليس القاعدة.

تخيل لو رأى الطبيب فقط المرضى في حالة حرجة، ونسي الحالة الطبيعية لصحة الإنسان. قد يخطئ هذا الطبيب في تشخيص المرض ويوزع علاجات غير فعالة. الحرب أهم من أن تخطئ.

ثانيا: الحرب نادرة لأنها مدمرة، لقد رأينا الدمار الذي لا يمكن تصوره للحرب، في شمال أوغندا قبل ٢٠ عاما. أطفال خطفوا من قبل المتمردين. جميع السكان ألقي بهم في مخيمات قذرة من قبل الحكومة. العنف شديد القسوة والإسراف. يمكننا أن نرى فظائع مثل هذه تحدث في أوكرانيا: وفيات، وحقول لم تحرث، ومدن تشبه الأنقاض، وخزائن فارغة على كلا الجانبين. بسبب التكاليف الباهظة، تحاول معظم المجموعات بذل كل ما في وسعها لتجنب القتال الشامل. «بسبب التكاليف الباهظة، تحاول معظم المجموعات كل شيء ممكن لتجنب القتال الشامل.»

حتى بوتين حاول تجنب الحرب بطريقته الخبيثة. لمدة ٢٠ عاما، حاول كل الوسائل المخادعة الممكنة لاستمالة أوكرانيا: المال الأسود، والدعاية، والعملاء السياسيين، والاغتيالات، ودعم الانفصاليين. وبقدر ما كانت كل هذه الأشياء عنيفة ومكلفة، لم يكن أي منها متهورا أو مدمرا مثل الحرب.

ثالثا: هناك خمسة أسباب فقط للحرب. قد يبدو أن هناك سببا لكل حرب وحربا لكل سبب، ولكن معظم الأسباب هي إحدى الطرق الخمس التي يتجاهل بها المجتمع، أو قادته تكاليف القتال.

الأول، هو الاهتمامات غير المضبوطة. خذ بوتين على سبيل المثال. يمكنه تجاهل معظم التكاليف؛ لأنه غير مسؤول أمام الأشخاص الذين يدفعونها. بصفته مستبدا - كما يزعم مؤلف الكتاب - فهو معزول عن كل ذلك، ويمكنه متابعة مصالحه الخاصة.

السبب الثاني، هو الحوافز غير الملموسة أو الأيديولوجية. على سبيل المثال، هواجس بوتين الإمبريالية: الرغبة في جعل روسيا عظيمة مرة أخرى، ومجد شخصي، ومكانا في التاريخ.

الثالث، هو عدم اليقين. تذكر كيف كانت كل هذه الأشياء غير مؤكدة قبل بضعة أشهر؟ شجاعة وعزم الأوكرانيين العاديين. القوة العسكرية لروسيا. وحدة الغرب بشأن العقوبات. عندما تكون الظروف غير مؤكدة، فمن السهل أن تخطئ في فهم التكاليف والفوائد، وقد يكون بوتين كذلك. تصبح الحرب مقامرة.

الرابع، هو المفاهيم الخاطئة. نقوم بمعالجة المعلومات بطرق متحيزة، مثل عندما تسمع أن بوتين معزول، منعزل، واثق من نفسه، يقلل من تقدير تكاليف الحرب. يبدو أن هذه كانت تصوراته الخاطئة.

الخامس، هو مفهوم استراتيجي يعرف بمشكلة الالتزام. يحدث هذا عندما لا يستطيع أحد الطرفين الوثوق بالآخر للالتزام، لذلك يتعين عليه الحفاظ على ميزته قدر المستطاع. في وقت سابق من هذا العام، حصلت أوكرانيا على طائرات تركية بدون طيار، وكانت تصنع صواريخها الخاصة. كان الغزو سيصبح أكثر صعوبة بالنسبة لروسيا، ولم يكن بإمكان الأوكرانيين الالتزام بحماية أنفسهم. في غضون ذلك، كانوا يقتربون من الغرب والديمقراطية. يمكن القول إن روسيا كانت في ذروة نفوذها. وسط مشكلة الالتزام هذه، حان الوقت للاستفادة منها الآن أو أبدا.

«لا يمكننا مواجهة الصراع إلا إذا فهمنا الدوافع.» إن تفسير العدوان لا يعني تبريره. لا يمكننا مواجهة الصراع، إلا إذا فهمنا الدوافع. وهذا يعني فهم المفاهيم الخاطئة للمعتدين، وأيديولوجياتهم، وكل الأوقات التي يحسبون فيها ببرود، ويتخذون خيارهم الأناني والأمثل استجابة للظروف.

رابعا: تنطبق القواعد الخمس على جميع أنواع النزاعات. تنطبق هذه الأفكار على الخصومات القومية والحروب الأهلية والصراعات العرقية وحتى حروب العصابات. وظيفة الكاتب اليومية هي اختبار طرق جديدة لإحلال السلام في الحروب الأهلية والمدن العنيفة. لماذا تقاتل الدول، وما يوقفها، يساعدنا على فهم الحرب والسلام على هذه المستويات الدنيا - والعكس صحيح.

وهنا يمكن ذكر شيكاغو كمثال، حيث ارتفعت جرائم القتل (مثل العديد من المدن الأمريكية) منذ خمس سنوات حتى الآن. قادة العصابات الذين نعرفهم لا يريدون خوض الحرب. بعد كل شيء، أنت لا تبيع الكثير من المخدرات في معركة بالأسلحة النارية، ولا أحد يريد أن يقضي حياته ينظر من فوق كتفه. لكن في بعض الأحيان يقاتلون، ويساعدنا ثلاثة

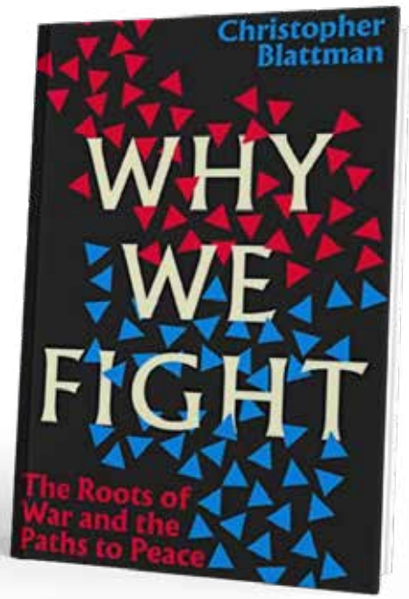

من الخمسة على الأقل في فهم السبب.

أحد الأسباب هو أنهم بلا رادع، فقادة العصابات ليسوا مسؤولين أمام مجتمعهم، لذلك يمكنهم بأمان تجاهل معظم الضرر الذي يسببه عنفهم. لديهم أيضا حوافز غير ملموسة. ليست القومية أو المجد، ولكن (عادة) الانتقام. إنهم يسعون إلى الثأر، قتل شخص ما أخيه أو أعز أصدقائه. إنهم على استعداد لدفع تكاليف القتال من أجل شرفهم أو الانتقام. ثم هناك حالة من عدم اليقين أكثر دقة، ولكن يمكن القول إنها أكثر أهمية.

أخبرني أحد قادة العصابة الذين عملت معهم عن أول مرة سُرق فيها، وهو يبيع المخدرات. لقد اعتقدوا أنه ضعيف. لقد أدرك أنه إذا لم يفعل شيئا، فإنه سيفعل. لذلك، تعقبه وأطلق النار على الرجل الذي سرقه. كان عليه أن يفعل ذلك عدة مرات قبل أن يبني سمعة مخيفة. في الوقت الذي التقيت به في برنامج خروج العصابات، كان قاتلا متكررا.

هذا هو الشيء، كان بحاجة إلى بناء سمعة بسبب عدم اليقين. ليست هناك حاجة لسمعة طيبة في عالم يعرف فيه الجميع قوتك. لكن في عالم غير مؤكد، يكون القتال أحيانا أفضل طريقة للإشارة إلى أنه لا يجب العبث بك - بدء بعض المعارك لمنع الآخرين. هذا في الواقع أحد الأسباب وراء بقاء الولايات المتحدة لفترة طويلة في أفغانستان. لم تكن أمريكا تسعى فقط للانتقام، بل كانت تبني سمعة لتكون بمثابة تحذير للدول المارقة الأخرى، أو الجماعات الإرهابية بشأن ما يمكن أن يحدث إذا هاجموا الأراضي الأمريكية. «الأخطاء والمشاعر تدفع المجموعات إلى الضربات، ولكن عادة ما يكون هناك منطق استراتيجي دقيق في العمل أيضا - قاسي ومهتم بالذات - يجب أن نتعلم كيف نتعرف عليه ونتصدى له.»

خامسا: كل طريق إلى السلام يعالج واحدا على الأقل من الأسباب الخمسة. هناك المئات من العصابات في ميديلين، كولومبيا، ربما ١٢ ألف شاب مسلح في المدينة. ومع ذلك، فإن معدل جرائم القتل، هو ثلث مثيله في شيكاغو.

يقول المؤلف: أخبرني أحد قادة العصابات في السجن عن مجموعتين متنافستين في زنزانته. اندلع شجار بسبب لعبة بلياردو. سحب أحد الجانبين أسلحته وأطلق النَّار على الجانب الآخر. خلال الأيام القليلة التالية، وقعت عمليات قتل انتقامية، وانحازت كل مجموعة في المدينة إلى جانب عصابة أو أخرى. هذه العصابات غير المقيدة، المتعطشة للانتقام، وتحتاج إلى تلميع سمعتها، كان من الممكن أن تشن حربا، لكنها توقفت عند هذا الحد.

يكره آل رازونز (زعماء الجريمة الكبار في المدينة) عندما تتقاتل عصابات الشوارع. الرازون هم الموردون بالجملة لعمليات بيع المخدرات بالتجزئة. إنهم يخسرون المال في الحرب، ولكن الأهم من ذلك، عندما تملأ الشوارع بالدماء، يفقد الرؤساء الكبار درعهم الخفي، وتطاردهم الشرطة، والمدعون العامون. لذا أوقفوا حرب البلياردو من الحدوث.

أدواتنا الدولية متشابهة. تحاول العقوبات أو التهديد بالمقاضاة على جرائم الحرب، وإجبار القادة غير الخاضعين للرقابة، على التفكير في تكاليف الحرب عندما لا يفعل أي شيء آخر ذلك. وبالمثل، فإن جحافل الوسطاء والمراقبين ومفتشي الأسلحة والصحفيين، يبذلون قصارى جهدهم للحد من عدم اليقين وتعزيز الالتزامات.

على السطح، يبدو أن بلاتمان وجد كتاب قواعد اللعب لبوتين. وبسبب عزله في الكرملين، واجه القليل من الضوابط والتوازنات بشأن قراره بغزو أوكرانيا، وقراراته اللاحقة بالسعي إلى استمرار العنف بدلا من التفاوض على طريقة للخروج من الحرب. تمتلئ خطاباته بالدعوات إلى حوافز غير ملموسة، تستند إلى قراءة مشوهة للتاريخ، تؤكد إحساس روسيا بالمهمة الوطنية، والإذلال المزعوم على يد الغرب. اشتمل إطلاق هذه الحرب على قدر هائل من عدم اليقين، ويمكن للمرء أن يجادل بأن روسيا تخاطر بعدم الأهمية، مع تقدم سكانها في السن وركود اقتصادها. أخيرا، يبدو أن هناك القليل من الشك في أن بوتين أخطأ كثيرا في فهم البيئة الأمنية المعاصرة، والأهم من ذلك استعداد الأوكرانيين للقتال، وحرص الدول الغربية على مساعدتهم، حتى أنه قلب المحظورات القديمة مثل عدم رغبة ألمانيا منذ عقود لتوفير أسلحة فتاكة للمتحاربين.

الكتاب: لماذا نحارب: جذور الحرب وطرق السلام

اسم المؤلف: كريستوفر بلاتمان

تاريخ الإصدار: 2022م

دار النشر: فايكنغ للنشر والتوزيع

اللغة: الإنجليزية

عدد الصفحات: 400 صفحة

* كاتبة عُمانية

إصدارات عالمية جديدة

اللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

بيان للرأي العام من أجل الصحة 2022

المؤلف: أندري غريمالدي **تاريخ النشر: 2022**
الناشر: دار أوديل جاكوب، فرنسا **عدد الصفحات: 224 صفحة**

أصبح نظام الرعاية الصحية الفرنسي والمستشفيات ومقدمو الرعاية من أطباء وممرضين أكثر حضورا بأوضاعهم وقضاياهم من أي وقت مضى. لقد كشفت الأزمة الصحية عن مواطن القوة والضعف في النظام الصحي القائم حالياً. من هذا المنظور، يندرج العمل الملتزم الذي قدمه أندري غريمالدي، في إطار مناشدته للسلطات العامة، وكذلك للمجتمع الذي يرغب رفع مستوى الوعي، وللمهنيين الصحيين الذين كانوا أول من تأثر بالأزمة. يعرض الكتاب مشهدا مرعبا من مشاهد اجتياح كوفيد للعالم، بعدما اكتشفت المنظومات الصحية أنها لا تتوفر على الأقنعة والأدوية والأسرّة وطاقم التمريض وكل شيء... كيف وجد المستشفى ونظام الرعاية الصحية الفرنسي خاصة والعالمي نفسيهما في خصاص رهيب؟ يتساءل الكاتب هل كان بإمكاننا تجنب الحجر الجماعي؟ وكيف وصلنا إلى هذا الوضع المؤسف، بعدما احتلت فرنسا قبل عشرين عامًا المركز الأول في ترتيب منظمة الصحة العالمية للأنظمة الصحية؟ لكن الوباء سلط الضوء أيضًا على نقاط القوة أيضا، المتمثلة في فرق الرعاية الصحية المهنية والمتطوعة التي ابتدعت أخلاقا جديدة في المعاملات، والرعاية الصحية التكافلية. يقدم هذا الكتاب الفاحص والجارح برنامجًا في عشرة مقترحات قوية لإنقاذ المنظومة الصحية.

أصول الإدراك البشري

المؤلف: مايكل توماسيلو
الناشر: دار لاديكوفيرت، فرنسا
تاريخ النشر: 2022
عدد الصفحات: 384 صفحة

لماذا تطوَّر البشر، بينما بقيت القردة على حالها رغم المتشابهات الجينية؟ من أين تأتي هذه القدرة الخاصة لنوعنا لاكتساب وتطوير ونقل المعرفة والدراية التي تسمح له بتحويل ظروف وجوده إلى تجارب ومعارف تؤثر على طريقة تطوره؟ يقدم مايكل توماسيلو، أحد الباحثين القلائل البارزين الذين أجروا تجارب على القدرات المعرفية للقردة والأطفال، يجيب على هذه الأسئلة مبرزا الدور الأساسي للتعلم الثقافي والاجتماعي في نقل المعرفة لدى البشر.

يوضح الكاتب أن ما يميز الإدراك البشري بشكل صحيح يعتمد على العمليات التطورية والتاريخية والجينية التي سمحت بالحفاظ على هذه القدرات وتحويلها وذلك بالاعتماد على اللغة والتمثيل الرمزي والتطور النفسي، مؤكدا على الدور الأساسي لـ «الاهتمام المشترك»، الذي يكمن وراء مشاركة المآرب، والمنفعة المشتركة لنقل الثقافة وتجاوزها. وهكذا، يرث كل جيل جديد الأدوات المادية والفكرية التي ابتكرتها الأجيال السابقة.

علم اجتماع الطبقات الوسطى

المؤلف: سيرج بوسك **الناشر: دار لاديكوفيرت، فرنسا** **تاريخ النشر: 2022** **عدد الصفحات: 128 صفحة**

مديرو الأعمال والمسؤولون التنفيذيون والمعلمون والممرضات والحرفيون...إلخ: يمكن للجميع، بطريقة أو بأخرى، الادعاء بالانتماء إلى «الطبقات الوسطى». على عكس الفئات الأخرى (البرجوازية والطبقة العاملة)، لا يمكن ربط هذه الصفة « الطبقة المتوسطة» على الفور بمجموعة أو أكثر من المجموعات الاجتماعية المحددة. تشكل هذه الهندسة المتغيرة قطبًا مهمًا في المجتمع اليوم، وتشير إلى كوكبة من التشكيلات الاجتماعية المتنوعة جدا وغير المرئية بشكل متساوٍ في المشهد الاجتماعي.

من خلال تحليل مكوناتها المختلفة، يتتبع الكتاب المسار الاجتماعي التاريخي «للطبقات الوسطى»، والتي تميزت بالتحول في التأثير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وصعودها في التراتبية الطبقية. يعرض الكتاب إشكاليات تتعلق بالتحولات المجتمعية. وينتهي بأسئلة موضوعية: هل الطبقات الوسطى تعيش اليوم أزمة اضمحلال؟ ما هي المتغيرات والتوترات في عوالمها المهنية الجديدة؟

اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

المؤنس في الفلسفة العمومية

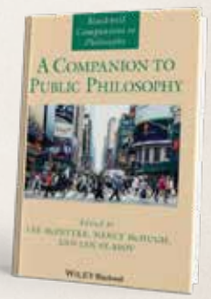

المؤلف: تأليف جماعي
دار النشر: ويلي بلاكويل
سنة النشر: 2022

باتت «الفلسفة العمومية» تعني الفلسفة التي تمارس في حضرة العموم، فتهدف إلى الدفاع عن قضايا مشروعة، المشاركة في احتجاجات وأنشطة سياسية، المرافعة في تظاهرات عامة... وذلك بطرح موضوعات عمومية شأن الغيرية والإيثار والمصلحة العامة وضرورة المشاركة السياسية ولزوم مقاومة طغيان السلطة والتطوع للدفاع عن الأقليات والمضطهدين والمنبوذين ومن لا صوت لهم... هذا ويعرض هذا الكتاب تاريخ «الفلسفة العمومية» من سقراط ومرافعته الشهيرة إلى قضايا الإنصاف والعدالة الاجتماعية والدفاع عن البيئة والأخلاقيات الطبية اليوم. وتشكل الفلسفة العمومية مجال لقاء بين المحترفين من الفلاسفة وأفناء الناس. وهي لم تعد مقصورة على المصنفات الفلسفية بل باتت تمارس عبر السينما والتلفزيون والأنترنت، وفي أماكن شأن الجمعيات والسجون والوقفات الاحتجاجية. وإنها لشاهد على نزول بعض الفلاسفة من أبراجهم العاجية إلى الساحة العمومية.

تبسيط الفلسفة في الإسلام واليهودية والمسيحية في العصر الوسيط

المؤلفة: كتاب جماعي
دار النشر: بريبولس باب
سنة النشر: 2022

عادة ما يعاب على بعض الفلاسفة المستغلقين أنهم لا يكتبون إلا إلى الفلاسفة من أمثالهم. وقد قامت العديد من ردود الأفعال على هذه النزعة الهرمسية الانغلاقية، لعل أشهرها موجة ما سمي باسم «الفلسفة الشعبية» في ألمانيا التنويرية. على أن هذا الكتاب يثبت وجود نزعات تبسيطية تيسيرية استبدت بفلاسفة العصور الوسطى ـ مسلمين ويهودا ونصارى ـ سعت إلى التعبير عن الفلسفة لا في مصنفات ضخمة وإنما في رسائل وحوارات وقصص وأشعار ـ على نحو ما وجد في قصة حي بن يقظان مثلا. وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه لأول مرة يأتلف جمع من المتخصصين في فلسفة العصر الوسيط الإسلامي واليهودي والنصراني لمناقشة جهود تبسيط وتيسير الفلسفة في تلك الحقبة ومن خلال ثلاثة تقاليد مختلفة.

منظورات في الفكر النقدي

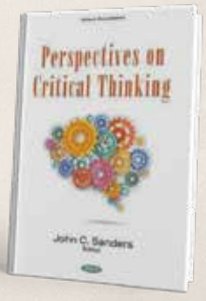

تحت إشراف: منظورات في الفكر النقدي **الناشر: نويا** **تاريخ النشر: 2022**

هذا كتاب يظهر الحاجة الآن قبل أي وقت مضى إلى فلسفة في العلم تكون ملتزمة بالمخاطر التي باتت تواجه بشرية اليوم المعولمة: الأوبئة، التصحر، الاحتباس الحراري، التلوث البيئي، التأليه والمكننة، الذكاء الاصطناعي المنفلت من تحكم الإنسان ... ولن يخيب أمل القارئ في العثور على بغيته في هذا الكتاب الذي يعرض عليه مأدبة سخية في فلسفة العلم المعاصر، من حيث هي نظرة نقدية في فرضيات ومبادئ ونتائج العلم : أ ـ فلسفة الطب والتغير المناخي. ب ـ فلسفة الرياضيات والاحتمال التطبيقية. ج ـ مراجعة فكرة التقدم العلمي. د ـ الواقعية العلمية والبديل الوسيلي. وذلك كله في زمن عدم اليقين الذي نعيشه، والتقدم الذي حققه الذكاء الاصطناعي، ومستقبل الإنترنت.